في منفى الحب

عبير بوقرة

عبير بوقرة

في منفى الحب

اسم الكتاب: **في منفى الحب.**
اسم المؤلف: **عبير بوقرة.**
الترقيم الدولي: ISBN: ٩٧٨-٩٩٣٣-٥٦٧-٠٧-١
الناشر: **دار عقل للنشر والدراسات والترجمة.**
سنة الطباعة: ٢٠١٦.



يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار عقل للنشر والدراسات والترجمة
سورية - دمشق - جرمانا - ص.ب: 249 جرمانا
هاتف: 00963115637060
فاكس: 00963115632860
aklpublishing@gmail.com

"وَ مِنَ الحُبِّ ما قَتَلْ..."
"وَ مِنَ القَصائِدِ ما كُتِبْ..."

بقلم عبير بوقرة

عبير بوقرة

تقديم

الخوفُ. كلّما انتابني كان يتحوّل إلى قصيدة.

في البدايةِ، كنتُ أخافُ الخوفَ. عادةً ما يكون شــــعورًا مُزلزِلًا، يتملّكني ويسـكُن عقلي، بصـمتٍ. يشـلّ تفكيري ويعتري جسدي بسكونٍ بارد.

كنتُ في الثانيةَ عشــــرة من العمر عندما اعتراني الخوفُ لأوّل مرةٍ. لم أكن أبدًا الطّفلة الهادئة، الكتوم، لكنّه قيّدني إلى ذاك السّكون.

أوّل مرةٍ اعتراني بها الخوفُ، كتبتُ فيها عن الحبِّ. ومن أنا كيْ أخالِفَ قواعد الشّــعرِ وإنجيل الشُّــعراء وأكتُبَ أولى قصائدي عن موضوعِ غيرِ الحبِّ.

لم يكن غيرَ الحبِّ الرّوحيّ، موضوعُ القصيدةِ.

ما زلتُ أتذكّرُ ســكراتِ الكتابةِ الأولى: كنتُ أتوتّرُ تارةً، وأتعرّقُ

أخرى. شعرتُ بأناملِ الغضبِ تتسلّل إلى جسدي، تتسلّقُ هضابي وُصولًا إلى عقلي.

آهٍ من ذاك الغضـــبِ، وويلاً منـهُ! كـان يُحرّكُ القلمَ بين أصابعي ويصُبُّ الحِبْرَ على ورقي.

فيا للسّــخريةِ...غضــب يعتريني فينحتُ كلماتِ الحبِّ على صفحاتي.

خوفٌ، يليهِ غضبٌ وشجنٌ وافتِتانْ، تُكتبُ بعدهُ قصيدةٌ في الحبِّ العُذريّ:

الحبُّ لا يفنى وإن أغْنَى
عن الحبِّ صفةٌ لا تبقى
للقلوبِ التآمّ وللوعودِ
التقاءٌ ورُؤى،
أمَّا الحبُّ فوحدهُ
للأرواحِ شِفاءٌ وسُقْيا.
أحببتُ يوما فحطَّ
جناحي دواءً للمرضى،
قلوبٌ جرحَى وعشقٌ

يصُبُّ في أكوابِ المَرَى.
ألا أيُّها المُحبُّ اشكُ
واشربْ من كأس الفنا
واترُك للناس أثرًا
فالحبُّ وحده هو الأسمى
و لا تُبقي على مَرِّ الذاتِ
فالحبُّ وحدَهُ والعشق دِوًا.
اصبِرْ إنَّ الصبر فضيلةٌ،
فضيلةُ المُحِبِّ وفضْلُ الهوى،
وقف بحبّك إنَّ الحبَّ
سيبقى في القلوب ولن يفْنى بالكرى.

حاولتُ بعد هذه القصيدةِ أن أعتادَ فكرةَ الخوفِ.
كان العالمُ يهزُّ كياني ويُلهمني في الكتابةِ أحيانًا، ولكن لم تكن أيُّ صِـــورةٍ أو حركة، أو فكرةٍ أو أدمة قادرةً على أن تُحرّكَ بيَ ريشةَ الكتابةِ سوى شعوري بالخوف.
لن أُطيلَ في وصفِ هذا الشّعور، لكنّهُ بالأخيرِ أصبح قنديلَ كتاباتي.

الخوفُ يعني الكتابةَ.

لم أرضَ بـأن يكونَ هـذا عنواني. الخوفُ: لم أرضَ بـأن يكونَ هذا عنوان كتاباتي، فقرّرتُ أن أحوّل هذا الشّــعورَ إلى ما كانَ ينتُجُ عنهُ عادةً، الحُبُّ.
عندها عاهدتُ قلمي بأن يكون الحبّ موضـوعَ كلّ قصـيدةٍ، أكتبها، أتخيّلها، أو أتنفّســها. وعندها قرّرتُ بأن يكون الحبّ محرّكَ إبداعي.

فكتبتُ في الحبّ قصـيدةً أُعاتبُهُ فيها عن روح الإدمان التي رَسَمَتْ ملامِحه، وأدينهُ فيها بتُهمةِ القسوةِ والصّرامةِ.

يُلهمني الحبّ في الكتابةِ
فيزرعُني ليمونةً في بستانٍ جوري
يأخذني بين شَغَفِ الرّعشةِ والجُنونِ.
تنطلِقُ حروفُ كتاباتي شرارةً
وتهمِسُ باسْمِ قُبْلَتِكَ،
باسمِ همستِكَ، لمستِكَ وحُرقتكْ.
تشابَهتَ أنتَ وأشعاري

أنتَ وكلماتي، في الدِّمْنَةِ والسَّكَرِ والإدْمانِ.
فحَمَلتُ ريشةَ الحِقدِ ليلاً
واغتَسلتُ حِبرًا في أحداقِ نيساني.
تُفزِعُني فِكرةُ أفكارِكَ،
فِكرةُ همستِكَ، لمسَتِكَ، وقُبْلَتِكْ.
نظرةُ الحبيبِ، أو المعشوقِ أو الملعونِ،
قالوا أنّها تَأْسِرُ،
تأسرُ و تَحتوي.
لكنّ عيناكَ أصابتني بالجُنونِ
فأعلنتُ الحرب و أنهيتُها
وقاتلتُ، وأغرقتُ الإنسانيّةَ في بردِ نيراني،
وصرخْتُ صرخةَ الصّمتِ
مُعلنةً انتصابَ حبّكَ شجرةَ زيتونٍ
على أرض قمَمي، على تُرابِ جُفوني؛
مسَحَتْ أناملُكَ سطحَ سُهولي
فالْتهبتْ مِنْ تحتِ التّرابِ، أعماقُ جُذوري.
وآهٍ، من تلكَ الجُذورِ

ممّا تُلهِبُ أنامِلُكَ وممّا هو يلتَهِبُ مِن جُذوري.
أنتَ بهذا ألهمتَ في الكتابةِ سُوري
وألهمتَ الحبَّ في قصَدي،
آهٍ من الحبِّ،
آهٍ من حبّك، ومن حِبري، ومن قلمي...

وهكذا، كلّما سُئلتُ عن مصدر إلهامي وبئرِ أفكاري، كانت إجابتي واحدة: الحبُّ.
كلّما طرحوا عليّ تساؤُلًا يتعلّق بقَصَدي كانت إجابتي ثابتة، الحبُّ:
- ما هو موضوع القصيدةِ؟ ماذا كان مصدرُ إلهامِكِ هذه المرّة؟ ماذا يُحرّكُ روحَ الكتابةِ فيكِ؟ لماذا تكتُبينَ؟
إجابتي كانت دائمًا واحدة: الحبُّ.

وأظنُّ أنّهم كانوا قد سئموا إجابتي عندما ظنُّوا أنّني في أثيرِ الحبِّ كاتبَةٌ كلَّ قصائدي. فكم من قصيدةٍ ورسالة وكتابٍ يُمكنُ للفردِ منّا أن يكتُبَ عن هذا الحبِّ قبل أن تملَّ منه الكلماتْ، وتنفذَ روحُ المعاني الآسراتْ وتسطِّرَ الرّتابةُ ملامحَ معانٍ مُبتذَلاتْ، فتُصبحَ الإعادةُ والتّكرارُ قاموسَ تلك الكتاباتْ.

كانوا يطرحون هذه التّساؤلاتِ في نظراتهم إليّ، كانوا يستنطِقونَ الكلماتِ السّاكتاتْ ويُحدِّثون صُوَرَها الدّافِناتْ، يُعاتبونها لوْمًا عن معانيَ الحبّ الكامنةِ فيها لكنّهم لم يجدوا أثرًا للرّتابةِ ولا للإعاداتْ.

اِحتاروا في ذلكَ وفي الأخيرِ سألوني وعاتبوني: كيف لكِ أن تستمرِّي في الكتابةِ عن الحبِّ؟ كيف لكِ أن تكتُبي في الحبِّ وعالمُنا تغزُوهُ الثّوراتُ والحُروبُ والدّماءُ والأمواتْ؟ أوليستْ أحقَّ في الكتابةِ عليكِ من موضوع الحبِّ والعلاقاتْ؟ كيف لكِ أن تُعاهدي ريشَتَكِ بالكتابةِ في موضوع الحبِّ إلى أبدِ اللّانهاياتْ؟

هذه التّساؤلاتُ والاِنتقاداتُ رسمت البسمةَ على ملامحِ كتاباتي، لا لِسببٍ بل لأنّها عكست المعنى الحقيقيَّ لمفهومِ النّشازِ الاجتماعيّ، والآن سأشرحُ ما أقصِدُهُ بالنّشاز:

كُلّما سُئِلتُ عن مصدرِ الإلهامِ وراءَ كتاباتي أجبتُ بأنّهُ الحُبّ، وكلّما منحتُ هذه الإجابةَ لم يقرأ السّامِعُ إلّا ما أراد أن يستشِفّهُ منها: الحُبُّ ذو الوجه الواحدِ، الحبّ العاطفيّ.

يكبُرُ الفردُ منّا في مجتمعٍ يجعلُ من الحبِّ نشازًا اجتماعيًّا واضحًا: فلا طفلٍ يجرؤُ على طرح موضوع الحبِّ في قسمِ مدرستِه، ولا شابٌّ

يجرؤُ أن يكتُبَ في الحبِّ ويقرأ موضـوعه علنًا، ولا سـيّدة منّـا تجرؤُ أن تفكّر في الحـبِّ وتشـــاطر أهلها وجماعتها هذه الأفكار.

وفجأة، يلبسُ الحبُّ هالةً سوداءَ ويصطفي مكانهُ في ظلالِ أفكارِنا، بعيدًا عن مُتناولِ حواسّنا، كلماتِنا وقواميسِ لُغتنا.

وغير أنّنا نكبُرُ بعيدًا عن معنى الحبِّ إلّا أنّهم يُواصـــلونَ تلقيننا أفكارًا ومبادِئَ تُؤسَّـــسُ على مبدأ الحبِّ فتبدو لنا مبهمةً، مُؤكّدين لنا أنّها أساسُ فهمِ إنسانيّتنا وكينونتنا. يُواصلون تلقيننا معنى المُواطنةِ، يواصـلون تحفيظنا مفهوم الإخلاصِ والصّـدق، مفهوم حـبّ الـدّين والألفـة والأهـلِ... وغيرهـا، وغيرهـا من المفاهيم التي تظلّ مبهمة.

وهكذا نكبُرُ في مجتمعاتنا هذه ويكبُرُ الحبُّ في بُعدهِ عنّا، فتصيرُ كلمة "أحبُّك" غريبة عنّا، ويُصبحِ مفهوم العشقِ غريبًا عن حياتنا. ولكن، أكثرُ هذه المفاهيم إثارة للدّهشـــةِ هو أنّ حبّنا لأنفُسنا يصيرُ، هو أيضًا، محلّ تساؤلٍ وجمود.

- فما هو "حبّ النّفسِ" إن لم نتعلّم أن نُحبّ؟

هذا كان السّـــبب الرّئيســـيّ الذي علّمني في ســـنّ الثانية عشـــرة أن أعاهد ريشـــتي على الكتابة في الحبّ، مفهوم الحبّ ومعنى الحبِّ...

فالحروبُ التي تشـــهدُ ها بُلْدانُنا اليَوم، لم تكن إلّا نتيجة لِبُعْدِنا عن

الحُبّ. قتلُ النّفس البشــــريّة لمثيلتها، نهب اليد المواطِنَة لأمينتها، ولادَةُ الأمَةِ لِرَبَّتِها... لم نفهم هذه المعاني ولم نترشّــف أهمّيّتها لأنّنا لم نتعلّم كيفيّة حبها.

- فما هو حبّ الوطن والأهل والدّين والعِلم، إن لم نتعلّم مفهومَ الحبّ وفعلَ الحبّ؟ التّعبيرَ عن الحبِّ والإفصــاحَ عن فكرة الحبِّ؟ كيف يمكن أن تُحبَّ الآخر، كيف يُمكِنُ أن تُحبَّ نَفْسَــــكَ، وتُقَدِّمَ للآخَرِ ما تُحِبُّهُ لِنَفْسِكَ وأنْتَ تَجْهَلُ معنى الحُبِّ وفَحْواه؟

فإن لم يُصدّق الشّــاعر فينا بأنَّ الحبَّ هو أســاسُ الوجود، فمن عســاهُ يستتشِفُّ هذا التّصديقَ ومن تراهُ ينحتُ أفكار الحبِّ في كينونتنا، في وجودنا، وبين رشفاتِ أنفاسنا؟

في مجموعتي الشّــــعريّةِ هذه أردتُ أن أنحتَ ملامح الحبّ على حياة كلّ قارئٍ ومُستشِفٍّ لهذه الكلمات.

فكلُّ قصــيدةٍ في هذا الدّيوانِ تَســرُدُ في نقاطها وفواصــلها قصَّـــةَ يومٍ، وحدثٍ وإنســـان. ولكن بالأخير، كلُّ قصـــيدةٍ هنا هي ساردةٌ لقِصّةِ حُبٍّ:حُبٍّ ربّما كان روحانيًّا، أفلاطونيًّا، أو نرجسيًّا، أو ربّما كان يرسُمُ ملامح الشّجنِ بين قطرة النّدى وكوز الصّنوبرِ أو بين غُصَيْنِ الشّجرةِ و شقِّ حبّةِ التّين. أو ربّما كان حُبًّا أبجدِيًّا في صوره، لا يَعرِفُ من

الصّــدقِ إلّا الكلمات الصّــامتة ولا يســمعُ عن الودِّ إلّا في ظلال الحروفِ المبعثرةِ على أوجه الورقات...

لكنّــه في الأخير حــبٌّ ســـيقود معنى الحيــاة في القلوب النّابضات ويسقي روح الوجودِ قطراتَ عَيْشٍ نيّقاتْ...

"فَمِنَ الحُبِّ ما كُتِبْ..."

عبير بوقرة

أخجل

أَخجلُ مِنْ وَتَرِ الكمانِ إذا انْتشى
من شَفَتيْ النّاي إذا همستْ
و مِن حفيفِ رِياحٍ إذا صهلتْ

أَخجلْ...
أخجلُ مِن قمرِ الكلِماتِ إذا طلعْ
مِن سماءِ الحبِّ إذا بكِيَتْ
ومِن وقعِ أنامِلِكَ إذا الْتهبتْ

أَخجلْ...
أخْجلُ وأستَحي من هذا المكانْ
مِن ريحِ خُبزٍ في صَدْرِ أفْرانْ
مِن زَئيرِ نبضٍ على غَزْلِ الزّمانْ
ومِن وقْعِ صمْتِكَ إثْرَ الإبَانِ أنا أخجلْ...

أخجلُ أنا وأستحي وتُورِّدُ على الإثرِ وجنتي
مِن موكِبِ دمعٍ على إثرِ مأْتَمي،
مِن نظرةِ حُبٍّ تُولَدُ في لحظةٍ
ومِمّا هو يُولَدُ بينَ لحظةٍ ولحظَةٍ.

أخجلُ أنا مِن لونِ الصّيفِ
وحُزنِ الشّمسِ ونَغَمِ البُكاءْ،
وأخجلُ أيضًا مِن عَرَقِ الزّهرِ
وصمتِ الرَّمْلِ ووِحدةِ المساءْ

أنا في الأخيرِ أخجلُ هذي الحياةْ
وأخجلُ مِن تفاصيلِ هذي الحياةْ،
فقدْ جرَّدّتني ورَفَعَتِ الغِطاءْ
وأنا مِن قَبْلِكَ لم أعرف العَراءْ.

وفي بحثي عن معنى الحُبِّ في أوساطِ الحُروب القائمة في عالمِنا هذا، كَتَبْتُ هذه القصيدة في رِثاءِ النّفسِ واستشفاءِ الأمل

قَبّلني قبل أنْ تبدأ الحربُ
أو اقبُرني شهيدَةَ وَلَعِي،
مَشَيْتُ قبلًا في جنائزِ القَصَدِ
ورأيْتُ شُهداءَ الحربِ موتى،
طأطأتُ قلمي في الجَمْعِ مُودِّعةً
ولمِ أسأل شُهداءَ حرْبٍ كانوا أمْ موْتى؟
لكنّي تساءلْتُ إنْ كانت مِنْ عيْنِهِ
تُذْرفُ دمْعةُ حُزْنٍ و بُكْيا،
فقدْ جفَّتْ دقّاتُهُ وشَحّتْ أوْتارُهُ
وسكنَتْ كَلماتُهُ عالمَ صمتٍ ورُقْيا.
يَسْمَعُنا ونَسْألُهُ، يَبْسَمُنا ونَدْمَعُهُ

ونقول أنّهُ من الشّهداء والموتى،
وهو يعيش موت لحظاته الأولى.
أُودِّعُكَ الآن وألْقاكَ ذِكْرى،
أتْرُكُ لك شغف كلماتي
وذكرى همساتي وقنديلي...
أتْرُكُ لك نفْسكَ، ألدَّ أعْدائك
وأشْرس فتلاتِ ابْسيلي.
أتْرُكُ لك وهم الحياة
أتْركُكَ وحْدك بِوهْمِ الوُجُودِ والكلماتْ
أتْرُكُ لك وهْمَ الهواءِ والأحاسيسِ والنّاسِ والسِّماتْ
أنا الآن أراكَ، وأنتَ في سُباتْ...
فقبّلْني الآنَ قبل أنْ تبدأ الحرْبُ
وتسْكُنَ قصيدتي مَخْدَعَ الرُّفاةْ...

وفي عِتابِ الحبيبِ قلتُ:

أنتَ أنتَ يا منْ علّمتَني
بأنَّ الحُبَّ مهجَرٌ وحُبُّكَ مَوْطِني،
غيتارُكَ يُخاطِبُ في العزْفِ مخدعي
ولحْنُكَ يعزفُ نشازَ وَتَري...
هَمَسْتُ حُبِّيَ على وقعِ وحدتي،
فرَقَصَتِ الوحدةُ على حُبِّ أوتاري
وتلاشتِ الكَلِماتُ على نَغَمِ غيتاري

الحُبُّ، وحُبُّكَ شيئانِ مِن الأقْدارِ
والعدْلُ في الشّيْءِ بعدَ اللهِ غيرُ مُحالِ

سَكَبْتُ كأسَ خُلْدِكَ مِن بابِ المرارِ
وأنتَ سَكِرْتَ ولعًا قبلَ دُخولِ الدّارِ

رَسَمتَ على غُصني أوراقَ أشجارِ
لكِنَّكَ لم تقطِفْ وَرْدِيَ ولا أزهاري

فكيف الآنَ تَحِدُّ لِي وَطَني
وتَهمِسُ لِيَ الحُبَّ في أُذُني
وَأنتَ لم تعْزِفْ غيرَ النّشازِ،
غَيْرَ النّشازِ على أوتاري...

وقلت أيضًا:

كلماتي، كتاباتي...
أحرُفُ أبجدِيَّتِيٍ وحبرُ رسالاتي،
قد تكونُ لِيمَونَةً في حقلِ حُصاةِ
أو دمعةَ شَجَنٍ تُغْرِقُ مِبْراتي
أو رُبّما أنَّكَ حفْنةٌ،
حَفْنَةَ أحاسيسَ مِنْ نهرِ رمْلاتِي،
أو ظلّ تاريخٍ في شاهِدِ حياتي.

كلماتي كتاباتي...
أنحتُ ثناياكَ على عُذريّةِ صفحاتي
وأستقي رحيقكَ من تفاصيلِ السِّماتِ،
فأثرُ الشِّفاهِ على فناجين القهوةِ
وطرقُ الأصابعِ على أسطُحِ الطّاولاتْ،
تصيرُ لها معانٍ كثيرةٌ

وتُصبحُ مرشدَ المُحبِّ في الحياة،
وبالرّغمِ مِن أنّها تفاصيلُ صغيرة
فالتَّفاصيلُ تسقي الوُجود نكهات...

كلماتي، كتاباتي...
أحرُفي وسِماتي،
صوتي وسُكاتي،
صوتُ السُّكاتِ بذاتي...
لم يكفِنِ مخدعُ الورقِ لِذاتي
فجعلتُ جسدي مرقَدَ كَلِماتي...
كلماتي كتاباتي...
همسةُ حُبّي وضريحُ عِتاباتي...
لم أجعل لقصيدتي سَلَفًا
عُنوانَ حُبٍّ أو مُرادِفاتِ،
إذ أنّي لمحتُ الصّوتَ همسًا
وسكبتُ صوتا في ثنايا خُطُواتي.
خُطُواتي، مخطّطاتي،
أم أنّها بدايةُ نهاياتي.

كلماتي، كتاباتي...
أيا سيِّدي، ويا سيّداتي،
إن لم تشرب كأسَ أشعاري
ولم تذُق طعم كتاباتي
فهل تراكَ تُقرِضُني روحًا
لِتَشِفَّ في معانيها الآتي:

الحُبُّ...
الحبُّ، يا سيّدي ويا سيّداتي،
قصيدةٌ مجهولةُ البداياتِ
تطولُ وتطولُ...عديمةُ النِّهاياتِ،
تُكْتَبُ حُروفُها مِن أبجدِيَّةٍ
كلِماتُها ليست مِن أبجدِيّاتِ.
زَرَعَها العِشقُ وسقتها في الأرضِ سمواتِ
بِقطراتِ أمطارِ صِدْقٍ،
وفي الأَخيرِ بِقَطراتِ الثَّباتِ...

المُحِبُّ...
المُحِبُّ، يا سيّدي ويا سيّداتي،

نبيٌّ بذاتِهِ صاحِبُ رسالاتٍ،
يبعثُ بها إلى أصحابِ جميعِ القارّات،
لِيُفسِّرَ لهم كيف يكونُ الحُبَّ
ويَصِفَ لهم مُختَلَفَ العلامات.

وفي بسيطِ كَلماتي، يا سيّدي ويا سيّداتي
فإنّي أقولُ أنَّ للحُبِّ بصيرةٌ،
بصيرةُ أعمىً في عالمِ المرئِيّاتْ
يلمَحُ الكَلِمَ، والحرفَ والقصَدَ
ويُبصِرُ الرّوحَ والرّوحانِيّاتْ
لكنّهُ المَعُوزُ، فاقدُ البصيرَةِ،
لِمَنْ كانَ قارِئًا للّافِتاتْ.

أنا في الأخيرِ سيّدةٌ،
لا بلْ أنا أنثى وسيّدةُ كَلِمةِ ذاتي
نحتّتُها على عشرينَ جِدارٍ مِن الحياةْ
فكانت تَتُوقُ في كُلِّ يومٍ، إلى حَرْفٍ جديدٍ وبِضْعِ كَلِماتْ،
لكِنَّ كِتاباتي، مَعَ مُرُورِ السَّنواتِ
ظلّتْ على نفْسِ الوعدِ في ثباتْ،

تُقَدِّسُ اسْمَ الحُبِّ،
والعاشِقينَ والعاشِقاتْ،
وتَبْعَثُ بِرِسالَةِ الحُبِّ إلى أصحابِ النَّزواتْ،
تُريهِم فيها بِأَنَّ الحُبَّ دينٌ
وإيمانٌ وتَوْبَةٌ وبِأَنَّهُ عِباداتْ،
أنَّ الحُبَّ مُرَفَّعٌ عن جميعِ النَّظَّراتِ
واللَّمساتِ والقُبُلاتِ...وجَميعِ الشَّهواتْ...
أيا سيِّدي، ويا سيِّداتي،
هذي كانت كَلِماتي،
وهذي في الأَخيرِ، كِتاباتي...

لَكِنّي لم أتفاد التَّغزُّلَ بالحُبّ، ففي النّهايةِ لم يكن هذا الأخيرُ سوى إنجيلَ الشُّعراءِ ولن يكونَ سوى دُستور حياةِ البشر

مِرْآةُ الحُبِّ عمياءُ
ولِسانُ الحُبِّ أبكمْ،
ونغَمُ العِشقِ بُكاءُ
وموسيقى الموتِ أرحَمْ.
فصوتُ الصّمتِ نِداءُ
ووقْعُ الكلماتِ أوهَنْ،
مَنْطِقُ الحُبِّ أَوْحَدُ،
يا ليْتَ العقلَ يفهمْ.
حرُّ الحُبِّ أجمرُ،
وقسوةُ حبِّكَ أحجرْ
وفِكْرُ عِشْقَكَ أسبَقُ
مِن شمسٍ إذا تتكوَّرْ.

سُؤالي يَقتُلُني والخِلا في المحجرْ
فأنا شاكيةُ حُبِّكَ، هنا...
بينَ جُذورِ سُويقاتِ الصّنوبرْ،
كَيْفَ لا...
وحبَّاتُ الرّملِ، في المِصْحَرِ
تُردِّدُ اسمَكْ.
كَيْفَ لا...
وقطراتُ النّدى على شَفتَيْ المِزْهَرِ
تُرَدِّدُ اسمَكَ، تَهْمِسُ باسْمِكْ.
طُيُورُ اللَّقْلَقِ في تقبيلِها للمَهجَرْ
حَفِيفُ نَفْسِيَ حينَ يُلاطِفُ حِبْرِي
وريشةُ حِبري في تَغَزُّلِها بالمَوْرِقْ
تَنطِقُ باسْمِكَ وتقْرَأُ اِسْمَكْ
تُرَدِّدُ اسْمَكَ، تَهْمِسُ باسْمِكْ...
كائِناتُ الخَلْقِ، وخَلقُ الكائناتْ،
ملامِحُ خُلُقِ هذي الكائناتْ
وكُلُّ ما كُشِفَ وباتَ مِن صِفاتْ
في الكَوْنِ والخلقِ وخَلفِ المرئِيّاتْ...

كُلُّها، كُلُّها كانتْ تُهمهِمُ اِسْمَكْ...
فكيفَ تَسْألُني، واِنْ كُنْتُ أشكو،
وُقوعًا،
وقوعِيَ الآنَ في صَدَى اِسْمِكْ؟

هذي الكلماتْ

أكْتُبُكَ على بياضٍ...
وأقرأُ عُذرِيَّةَ حُبِّكَ في قصيدتي،
فتغدو أنْتَ قطرَةً من أجْفُنِ الأعالي
أوْ حَفْنَةَ تَمُرُّ بين أصابعي مِن تُرابِ.
أشْهَدُكَ على حلاكِ...
وأعرِفُ أنَّ الحَياةَ في حُبِّكَ مماتي،
وأنَّ الشِّتاءَ صَيْفٌ،
وأنَّ ربيعَكَ هلاكي...
لَكِنِّي، في بسْمَتِكَ قَرَأتُ صِفاتي.
اِعصفِ الآنَ بِذاتي
اِشْتَهيني، بالطُّرُقِ الألفِ
والعواطِفِ الألفِ والأساليبِ الألفْ.
أحِبَّني بِتطَرُّفِ الكراهيّةِ والعُبوديّةِ،
واسِرْني بِسُجونِ الوِحدةِ المُحرَّمةِ.

أنا هكذا أُحبُّ،
بلذّةِ التّطرُّفِ، بعَيْشِ المَماتْ.
أَنا سَمِعْتُ صَوْتَكَ في انْعِدامِ الكَلِماتْ،
أنا جالَسْتُ هَمْسَكَ في جَميعِ الأوقاتِ،
أنا... أنا لمسْتُ وتناسيْتُ وسَمعتُ وبكيتْ
وآمَنْتُ وتأذّيْتُ وكَرِهتُ وارْتمَيْتْ...
أنا لا أُحِبُّكَ ولنْ أُحِبّ،
فلحْنُ الحُبِّ عَذْبٌ يُغَنّيهِ صوتُ الذّاتْ
وذاتي اليَوْمَ تاهتْ...
لا أعرِفُ أكانتْ مِلْكًا للمماتْ،
أم أنَّ فُصولَ الحياةِ قد دفَنَتْها في سُباتْ.
آهٍ... آهٍ مِنْ عُبودِيَّةِ تِلكَ الذّاتْ...
أنا شاعِرةٌ،
الأوراقُ لم تكفِني لكِتابَةِ الكلماتِ
فَجَعَلتُ جَسَدي ملجأَ الكَلِماتْ.
أنا سيّدةٌ. أنا أُنثى،
وسيِّدَةُ تلك الذّاتْ.

أنا كُلُّ النِّساءِ، وأنا صوتُ هذي الحياةْ...
لا أعْرِفُ أين قرأتُ هذي الكَلِمات،
أفي عينيكَ كانتْ أم على جَسَدي
أم بينَ أوراقِ أشعاري،
قَرَأتُ أنا...
هذي الكلِماتْ...

عبير بوقرة

أين ألقاكَ

أَلْقاكَ فِي نَفَسي،
فِي الصُّبْحِ، بينَ صفحاتِ جريدتي
أَلْقاكَ في سُكَرِ قهوتي
وبينَ الوسائدِ على أُريكتي.
أَلْقى اسْمَكَ بين تَدافُقِ أَوْتِرتي
في تَخاطُبِ قلبي وأوْرِدَتِي
أَلْقاكَ أبدًا في ذاكِرتي
بينَ ألحانِ الحُبِّ ونغماتِ مِقْلَمتي.

أَلْقاكَ يومًا في تناغُمِ خُطوتي،
في تسارُعِ دقّتي، أو بِجانبي في المِصْعَدِ.
وأَلْقاكَ يومًا بين دفاترِ كُتُبي
تَكْتُبُ شِعرًا في ذِكْرى كَلِمتي
وتُقَبِّلُ شغفًا ثنايا لوحتي.
أَلْقاكَ بين فساتينِ سهرتي

أو على المِدْرَجِ بين أربِطةِ أحْذِيَتي.

ألقاكَ في طريقي
في وجهِ كُلَ رجُلِ،
على درّاجاتِ الباعةِ
أو على كراسي القهوةِ،
أراكَ في أعْيُنِ المارَّةِ
وكذا في عَيْنَيْ جارتي.
أنا لم أتلُ حُبَّكَ، ولم آتِ حتّى بِكَلِمةِ
لَكِنَّهُنَّ جُنِنَّ وأُصِبْنَ بالغَيْرَةِ...

فأنتَ سيّدي، قد سَكَنْتَ مُقْلتي
واغْتَسَلْتَ في أحداقِ شُرْفتي
وهُنَّ، كُنَّ، قد تمنَّيْنَ أسْرَكَ،
واشْتَهَيْنَ في حُبّكَ نظرتي...
والنّساءُ قد بكيتْ وأُصبْنَ بالغيرةِ
إذْ أنَّ حُبَّكَ مركبٌ قد أرسى اليومَ ضِفَّتي،
وأنا أقودُ الدَّفَّةَ وقد فردْتُ أشْرِعتي...
وهُنَّ قد جُنِنَّ وأُصِبْنَ بالغيرةِ...

هو...

هُمْ قالوا أنَّهُ الحُبُّ،
لكِنَّ لَوْعَتَهُ كالغَيْسَقِ اللَّهَبِ.
طِفْلةٌ أكونُ في حضْرَتِهِ
أَتأمَّلُ حُضْنَهُ كالشِّبْلِ فِي المَهْدِ،
أسْتَقي مِنْ رُوحِهِ نَظْرةَ شَغَف
ومِن عيْنَيْهِ أسْتَرْجي دمعةَ وَلَعٍ.
أُغيظُهُ،
فالغيرةُ في الحُبِّ كالبَدْرِ والشَّفَقِ،
يتلامسانِ جمالاً
ويلْتَقِيانِ في الأبَدِ.
يُغيظُني،
فتَلْتَهِبُ حِمَمُ غيرتي
وتَشُقُّ ناري طريقًا لِتُشْعِلَ غُدَدَ قلْبِهِ.
أُحِبُّهُ، لا بل عَشِقْتُهُ

وكتَبْتُ اِسْمَهُ على مداخِلِ أوْرِدَتي
وضِحْكَتُهُ وصَوْتُه
وبَسْمَتُهُ تُلْجِمُ أحْصِنَتي.
فإنْ لم أقرأْ فيهِ شِعْرًا ولا نَثْرًا
ولمْ أحْيا موتًا في حُبِّهِ،
ماذا تراهُ يُلْهِمُني
ويَصُبُّ حِبْرِي على وَرَقي؟

الشّوق

سامِحني فقد كذِبْتْ.
لن أَحِبَّ ولا أحِبّ
هذا ما قُلْتُ غداً
ولن أظِلَّ عن طريقي
أمسًا وأبدًا...
لكن أنْتَ...
أنتَ... نظرْتَ إليَّ، فاحْتمَيتُ
وبَسِمْتَ إليَّ، فبكيتُ
ومشيْتَ إليَّ، فارْتَمَيتُ...
أراكَ غدًا في ذاكِرتي
فتَلْتَمِسُ بِضحْكَتِكَ ذاكِرتي،
وأفكاري وأَشواقي وحتَّى
مخارِجَ أورِدتي...
لن أَحِبَّ ولن أشتاقْ،

كَذِبْتُ والكَذِبُ مُتاحْ
فالصّدْقُ في حَضْرَتِكَ نِفاقْ...
وَقَفْتُ عُمُرًا على رصيفِ الوِفاقِ
أجْمعُ بين الوِحْدةِ والفراغْ
لكِنَّكَ عبَرْتَ بِي رَصيفَ الاشْتِياقْ
و حَمَلْتَني إلى عالمِ الحُبِّ والإدْمان...
هُناكَ، حيثُ تَرَكْتني
أُطارِدُ الوحْشَةَ وأبْكي أَلَمَ الفُراقْ...
كُنْتُ وحيدةً في الغدِ
وكانَ جهلي منبع ارْتِياحْ،
لكِنّي الآنَ أَجْهَلُ الوِحْدَةَ
وأصيحُ أمسًا وأرْتَجي الزَّمانْ
بأنْ تملأَ فراغي
هُنا، هُناكَ، وأيْنَما كانْ.
اِملأْ لي نَفْسي
اِمْلأْ لي روحي وعقلي،
اِمْلأْ لي وَريدي

وقلبي وأبْوابَ شرايِيني.
أحْتاجُ إليكَ الآنْ.
اِمْلأْني وامْلأْ أفكاري
اِمْلأْ لي جِسْمي وأوتاري
أنتَ سيِّدي، فقد ملأْتَ
عالمي وسِتاري،
لِماذا التَّراجُعُ الآن،
فأنتَ الوقودُ الذي يُشْعِلُ ناري...
على رصيف الشّوْقِ سأنْتَظِرْ،
فلا عودةَ الآنَ إلى غَدٍ مُسْتَتِرْ...
ولا رُجوعَ بَعْدَ الغَدِ،
إلى مُسْتَقْبَلٍ مُنْبَتِرْ...

قدري أسرٌ في الحياة

إنّي أَعُوذُ باسْمِكَ مِنْ عذابِ الضّحْكَةِ
وحُرْقَةِ القهوةِ وزئيرِ النَّسماتْ،
وأَسْتَعيذُ بصَوْتِكَ مِنْ نعيمِ الوحْدَةِ
وحُرِّيَّةِ الأَسْرِ و صَمْتِ النَّغماتْ.
لا أعْرِفُ لقولي هذا دليلًا ولا عقْلَا
ولا أُسايرُ فيه فواصلَ ولا سكناتْ،
لكنّي أعْرِفُ أَنَّ الأقْدارَ في هُبوبِها
تَهُبُّ بما لا تشْتَهيهِ آدماتْ.
فها أنا اليوم، وقد رمتني أمواجُ أقْداري
على صخرِ الشُّرُفاتْ
هناكَ، على شاطئِ البحرِ، بِجانِبِ
حجَرٍ، وصَخْرَةٍ ورَمْلاتْ،
وها أنتَ قد حفرْتَ على ذلك الرّملِ
أثرَ قدمَيْكَ ودفَنْتَ البَتَلاتْ،

ومشَيْتَ ومشَيْتَ أمسًا وغدًا
وحتْمًا أبْقَيْتَ على تِلْكَ الخُطُواتْ،
فذهبت الزّهرةُ وطُمست الرّملاتْ
وبَقِيَتْ تِلْكَ الصّخرةُ في ثباتٍ،
تزْأرُ لِنَسماتِ الأقدارِ في هُبوبِها
وتلْفَحُ في وقْفَتِها شواطِئَ الموجاتِ.
كمْ أعْشَقُ في هذا المشْهدِ زئيرهُ،
وصمتهُ ومَوْتَهُ ولمْحةَ الحياةْ.
وكمْ تراني الآنَ ألْمَحُ نظيرَهُ،
في سورةِ قَدَري وبقيَّةِ الآياتْ...
فأعذني الآنَ مِن هذا الأسْرِ
وقيّدْني في أسْرِ الحُرّيَّاتْ.
فمِشْيتُكَ سيّدي، اِسْمُكَ وصوتُكْ،
معاذٌ من الأسْرِ
وأسْرٌ في الحياةْ...

الحُبُّ في فَصْلِكَ

ألمْ تَكُنْ تُحِبُّ وقْعَ قَلَمي،
وصوتَ صمْتي وأنينَ نظَراتي؟
ألمْ تَكُنْ صاحِبَ الورقِ، لِقلمي
وهامِسَ ظُلْمتي وصَمْتَ منْديلي؟
عَبَرْتُ ذاكَ اليومَ جِسْرِ الأُنوثةِ
وأرْسَيْتُ في ثناكَ، ضفَّةَ الطُّفولةِ.
مَعَكَ، بجانِبكَ، وبينَ أصابِعكْ
فوقَ فوْهةِ بُرْكانِكَ، وتحتَ حِمَمِ نيرانِكْ،
أرْسَيْتَ بِي حينًا ضِفافَ الكُهولةِ
فظَفرْتُ قُطْنَ الشّتاءِ على كَتِفايْ،
وأرْسيْتَ بي طورًا صوْبَ الأمُومَةِ
فقَطَفْتَ حُمْرةَ كرزٍ على فوهةِ شفتايْ.
اليومَ، الآنَ، أسْكُنُ أرْضَ حُبِّكَ

اليومَ، الآنَ، رَسَيْتُ على ضِفَّةِ نَهْرِكْ...
اليومَ أقْطِفُ وَرَقَ خريفِكَ
وأُشَذِّبُ الآنَ، تَغَيُّرَ فَصْلِكْ.

وفي إلْهامِهِ لِكَلِماتي، واصـل الحُبُّ تَلْقينَ القصـائِدِ لِقلمي، فألْهمَ ريشتي الكِتابَةَ عنِ المَرْأة، معنى الأُنوثةِ وحُبِّ المَرْأةِ:
- ما معنى أن تكونَ المَرْأَةُ سَيِّدةَ نفسِها؟ ومَرْجعًا لِأُنوثَتِها؟
سأَلْتُ نَفْسِيَ هذا السُّؤال فكتبْتُ القصائِدَ التَّالِيةَ ردًّا عنهُ:

سيّدةُ نفسي

أمْسَكْتَ بِيدي...
اُتْرُكني، كي أهرُبَ عنكْ،
حرِّرْني، كي أشْفى مِنكْ،
نَزَفَتْ روحي
وبكي عَقْلي،
وشُلَّتْ أوتاري
وصرخَتْ أفكاري
باسْمِكْ...
تُغَلِّلُني وَسامَتُكَ
وتَقْتُلُني أناقتُكَ
وتَكْتُمُ صُراخي وفراغي...
كَلِماتُكَ وهمساتُكَ
صوْتُكَ وارْتعاشُكْ،
قَوْلُكَ ودهاؤُكْ...

قيَّدَتْني صفاتُكَ بِأوْهامِ الأشْباحِ
فَصِرْتُ أَلْمَحُكَ في البَحْرِ
وعلى الرَّصيفِ وفي الملاهي،
تُلاعِبُ الأطْفالَ وتَلْمَحُ الكِبارَ
وتُواسي النِّساءَ وتَعِظُ الرِّجالَ
واسْمُكْ...
اِسْمُكَ يتردَّدُ فيقْتُلُني،
فتُغَلِّلُني وَسامَتُكَ
وتأسرني أناقَتُكَ
وتشْذِبُني كَلِماتُكَ
وتَكْتِمُ صُراخي وفراغي...
همساتُكَ وغفواتُكَ
تَقْتُلُ أفكاري...
وأقوالُكَ وأشْعارُكَ
تزيدُ هيجانَ بِحاري...
حَرِّرْني سيّدي
فبَحْرُكَ عميقْ

والغَرَقُ أهْوَنُ عِنْدي
مِن سماعِ اسْمِكَ
وتَرَدُّدِ اسْمِكْ...
اتْرُكْني سيِّدي
حرّرني، فَحُبُّكَ إبليسْ،
آلَمَني وقَتَلَ أفْكاري
ودفَنَ آدَمِيَّةَ إصْراري.
فُكَّ قَيْدي واعْتِقْني
فأنا سيّدةُ نَفْسي،
هذا ما تَقُولُهُ نفسي.

<u>عبير بوقرة</u>

هي الأنثى

أنصت لِحفيفِ دمعِ واستَمِعْ
طالَتْ أنامِلُهُ جُفونَ شُرُفتي
وشقَّ في طريقِهِ تضاريس شِفاهي ومُقْلتيِ،
أصْغ سيّدي لِبسْمةِ أنثى
أصغ واستَمِعْ، لِحفِيفِ أُنْثى
ومطَرِ أُنثى...
صَيْفُها سمفونيّة "الفُصول" في المهجرِ
وخريفُها قصيدةُ هجاءٍ في المخْدع.
فالحقيقةُ سيّدي أنَّ الفُصولَ وعِبْقها
تحْيا من نَفَسِ أُنْثى وتَسْتَقي.
الفصولُ في عزْفِها مُؤنّثةُ المِزْهرِ
لكنّها في الفصلِ مُذكّرةُ الوَتَرِ.
اِشْرَبْ من ماء عينِ وانتشِ
فمياه العَيْنِ زَحَفَتْ على وقْعِ خُطا المرْأةِ

فلَمَسَتْ فِيها عِطْرها وآثارَ حفْرِ خُطْوَةِ
لامَسَتْها في الجدْبِ، في العراءِ وسطحِ الشُّرْفةِ،
فتاقت النّبتاتُ إلى الماء والنّشْوَةِ.
لماذا يا سيّدي تَشْرَبُ، ولماذا تستقِ
مياهَ دمْع وبُحورٍ وسُيُولِ وأنْهُرِ؟
إذا كانت الأُنثى تقْطُرُ، وتسْقي الكائِناتَ مياه سَكَرٍ وأعْيُنِ؟

كيفَ أكون؟

من أنا،
وكيفَ أكونُ هذا الأنا؟

من أنا،
وكيفَ أكونُ هذا الأنا،
بعد أن كُنْتُ مَنْ أكونْ
بَعْدَ أنْ رأيْتُ الطِّفْلَ يَرْضَعُ البَعِيرَ
وأُمُّهُ تَشْكي جفافًا في الثَّدْيِ والعُيُونْ،

من أنا،
وكيفَ أكونُ هذا الأنا،
بعد أن رأيْتُ كيفَ الوالِدُ كادَ يَكُونْ،
بِجانبِ طِفْلِهِ الذي كانَ،
طِفْلُهُ الذي كانَ مَلْجَأً لِرَصاصِ الصّهيونْ.

من أنا،
وكيفَ أكونُ هذا الأنا،
بَعْدَ أنْ عبَرْتُ "ساحةَ الحُرِّيَّةِ"، مُقيَّدَةً، بالظُّنُونْ
بَعْدَ أنْ وَقَفْتُ في ظِلِّ مُجْتَمَع الجُنُونْ:
مُجْتَمَعٌ يُكَفِّرُ الحُبَّ ويَدْعُو للشُّذوذْ،
مُجتَمَعٌ يُداوي الحُمَّى بأقْداح الزُّيوتْ،
مُجتَمَعٌ يُمَجِّدُ عَجْرَمًا، ووَهبي، ودِيابْ
ويَقولُ "لا" لِأصْحاب الفُنُونِ.
مُجْتَمَعٌ جَعَلَ "إنشاء الله" عُنْوانًا للخُمولْ،
فكيفَ أنا، أكونُ أنا
في ظلِّ هذا المُجْتَمَعِ الكَسُولْ؟

من أنا وكيفَ أكونُ هذا الأنا؟
كَيْفَ لِي أنْ أكونَ إنْ كُنْتُ وَحيدَةً/
عانِسَةً/ مُطَلَّقَةً/ أرْمَلَةً/ وَضيعَةً/
لعوبًا/ مسترجلةً/ غبِيةً/ جاهلةً
مثقّفةً/ قويّةً/ مبتذلةً/ شديدةَ الحساسيّة/
كثيرةَ البكاء/ متباهيةً/ جريئةً/ كثيرةَ الطُّموح/

سلبيّةً/ أو إيجابيّةً...
كيفَ لي أنْ أكونَ منْ أكونْ
وأنا هِيَ،
في كُلِّ لَحْظَةٍ ...في كُلِّ سَكْنةْ...

ولكن مَنْ هي،
وكيفَ لها أن تَكُونْ؟
كيفَ لها أن تَكُونَ ابْنَةَ صاحِبِ السَّوابِقِ المسْجُونْ
وزَوْجَةَ والي المدينَةِ المَصُونْ؟
كيفَ لها أن تَكُونَ أخْتًا لِأحْمَدَ
وعشيقَةً لِكاميرونْ؟
كَيْفَ هيَ، تَكُونْ، حفيدَةَ الحضارَةِ
وعبْدَةً للتَّحضُّر؟
وماذا هُم يقولونْ؟

منْ فَوْقِ لِحافِ سريرِها انْتُزِعَتْ
فَمَشَتْ/ هرْوَلَتْ/ رَكَضَتْ/ تنفَّسَتْ/
أسْرَعتْ/ صَرَخَتْ/ تساءلتْ/ تفاجأتْ/

زحَفتْ/ وقَفَتْ/ وَقَعَتْ/ تَقَدَّمتْ/
سابَقَتْ/ بكَتْ.../تباطأتْ...
هَرْوَلَتْ/ رَكَضَتْ/ مشَتْ وواصَلَتْ،
ولمْ تَعْرِفْ ما كانوا بِها يَرْسُمُونْ...

كَلِماتي، كِتاباتي

لمْ تَفْهم أبدًا أشْعاري
يا رَجُلًا كانَ كَلِماتي...
لم تَشْرَبْ كَأسَ نجاحاتي
ولمْ تَذُقْ طَعْمَ كِتاباتي...
ألِأنّي سكَبْتُ نبيذَ الشّوْقِ فيها
وأكْثَرْتُ فيها عِتاباتي
أم أنَّ سُيولَ الحُبِّ فيها
حالتْ دونَ إجاباتي...
يا رَجُلًا غنّى ألْحانَ البُعْدِ
وعزَفَ مقْطوعةَ براءَةِ المُذْنِباتْ.
يا مَنْ أوهمتَني أسْرَ بسماتي
وأدْخَلْتَني نعيمَ الظُّلُماتْ،
يا رَجُلًا سكَنَ ثَغَراتِ عقْلي

وخلَّفَ قَبْلَهُ مَوْتَ الحياة،
يا أنتَ...يا مَنْ رَسَمْتَني أجْمَلَ لوحاتِي
وأقْفَلْتَ بابَ غُرْفَةِ رُسُوماتي،
أتَراكَ فِعْلًا شَهدْتَ اليومَ
بأنَّ الحُبَّ فِعْلُ مُضارَباتْ؟
أَمْ هل تراكَ بِفِعْلِ غُرُورِكَ
بَلَغْتَ الرُّجولَةَ ومقامَ السَّاداتْ؟
أنا بالحُبِّ أوْصَلْتُ رِسالاتي
وأنتَ فلا...ولنْ تَخِطَّ رِسالاتي
فيا رَجُلًا...
أيا رَجُلًا، لم تفهم حتَّى كِتاباتي...

سيّدة أنا

سيّدةٌ أنـا،
قَرَأْتُ ذلكَ في أعيُنِ الرِّجالِ
"لنْ أسْرِقَ مِنْ أنْفاسكِ لَهْوًا
فأنا لك سيّدُ الأطْواعِ"
ردَّتْ نَفْسي،
في حضْرَةِ الهيامِ:
"لا أسْتَنْشِقُ مِنْ أنْفاسِكِ طَوعًا
ولا أبْتَغي طاعةً ولا تبَعًا،
فأنا أسْألُ فِكْرًا يُجالِسُني
وعلى عتَبِ الرَّصيفِ يُضْحِكُني،
بِجانِبِ الوِدْيانِ يُكْلِمُني شِعرًا
وعلى شُرُفِ السَّوادِ يُلْحِفُني شغفًا.
أنا أتلمَّسُ العزْفَ لا الكَلِمَ

أنا نَفْسٌ تتلمَّسُ الفِكْرَ،
الفِكْرَ والحُبَّ،
تَحْتَ أفْيونِ غُصونِ الزَّيْتونِ في السَّهَرِ
ومعَ ملاعِقِ سُكَّرِ القَهْوَةِ في السَّمَرِ،
في اللَّيلِ، مع ورْدةِ اليَنسُونِ والإكْليلِ
أو حتَّى في كَلِمَةِ "أُحِبُّكِ" في الغسَقِ.
فما قَوْلُ السيِّدِ الرَّجُلِ،
أو قَوْلُ نَفْسِكَ، سيِّدي
إذا ما صحَّ في كَلماتِها القَوْلُ؟"
"سيِّدةٌ أنْتِ" ترُدُّ نَفْسُهُ، الرّجُلُ:
"وفي نَظَراتِنا لِجوْهَرِ النَّفْسِ
نَحْنُ الرِّجالُ نُعوِّضُ الكَلِمَ،
فقدْ قرَأتُ رِقَّةً في جمالِكِ
تَخِرُّ لها الأغْصانُ على أدَمٍ...
أنْتِ...
أزْكَيْتِ في مِشْيَتِكِ ريحَ الوقارِ
فاهْتزَّ صدْرُ الشَّجرْ

وامْتلأتْ رِئتاهُ بِريح، ويا شَجَنِ!
اللهُ وحْدَهُ المعْبودُ سيّدتي
والسُّجودُ لغيرِ اللهِ مِنْ شِرْكِ
لَكِنَّ الطّبيعةَ بأغْصانِها سَجَدَتْ
ورأتْ فيكِ بَعْدَ اللهِ مُعْتَبَدِ.
فَإنْ كانتِ الوِدْيانُ والأغْصانُ لا تَفِكِ
ولا تَرْتَقِ إلى حُسْنِ كانَ جسَّدَكِ،
فماذا ترى الإنْسَ يَفْعَلُ
أكانَ في الأصْلِ مِنَ امْرَأةٍ،
أو كانَ مِنْ رَجُلِ."

المرأةُ أفيون

لمْ أتَفرَّدْ بِذاتِ العِزَّةِ
ولمِ أتَمَرَّدْ عنْ طَبْعِ الأنَا،
لكِنّي أتقَنْتُ فنَّ التّبالَةَ
وشَرِبْتُ الحُبَّ وأفْتَلْتُ الجَوى.
حَذَّرْتُكَ سيّدي وعُدْتُ أدْراجي
لكنَّكَ أثرْتَ شهيَّةَ الفتى،
وأغْرَقْتَ عمْداً في الجاهِلِيَّةِ
كُلَّ شرْيانِ وكُلَّ الخِلاَ.
أَلَمْ أكْتُبْ اِسْمَكَ بِجَمْع الحصى
على سيقَانِ إحْدى أشجارِ بُسْتاني؟
ألم أهْمِسْ طَبْعِيَ بِحِبْرِ قَلَمي
على مِعْصَمِكَ وبينَ مُقْلتيْ شِفاهي؟
أَلَمْ أخُطَّ سَكَراتِ حُبِّكَ
وحديثِ قَهْوَتِكَ وسُكَّرِ شَهْوَتِكْ؟

أَلَمْ أُخاطِبْكَ وأحْكي لَكْ
أَلَمْ أُؤنِّبْكَ وأرتشي بِكْ؟
أَلَمْ أقُلْ لَكَ بِأنِّي أنثى
وبِأنِّي سيِّدةٌ، وبِأنِّي أنا؟
أَلَمْ أحَاكيكَ بِتطرُّفِ جاهليَّتي
بِحُبِّي الجامِحِ وقسْوَةِ لُطْفي؟
قُلْتُ لَكَ سيِّدي أنْ لا تُحِبَّني،
لَكِنَّكَ فَوْرًا، فَوْرًا أَحِبْتَني:
"الحُبُّ والهُيامُ واللَّوْعَةُ والفُتُونْ
أسْماءُ جاهلِيَّةٍ كانت للشُّجُونْ
أوهَمَهَا الشَّاعِرُ للكَلِماتِ،
والرَّجُلُ يَهْمِسُها للمَرْأةِ كيْ تكونْ،
لَكِنَّكِ أنْتِ...أنْتِ كُنْتِ وما زِلْتِ وأصْبَحْتِ،
وأنا في حُبِّكِ لَمْ أعْرِفْ مِنْ سُكُونْ
فكَيْفَ تَراني أشْكو سَكَتاتي
بِكَلِماتٍ كانتْ ولمِ تُصْبِحْ،
عن امْرَأةٍ مازالتْ وصارتْ كيْ تَكونْ؟"

فَأجَبْتُكَ سيّدِي:
"المرْأةُ والأُنثى والسّيّدةُ، فُنُونْ،
تَقْطِرُ حِبْرًا وشِعْرًا وقَصَدَا
فَتَكُونُ لَكَ سَيِّدي فَتِيلَةَ أفْيُونْ..."

كيف هُوَ الحُبُّ؟

أصْغَيْتُ لِنبضاتِ قلْبٍ كُنْتُ قدْ تناسيْتُ دقّاتَهُ
وتَجاهلْتُ همَساتِ عقْلٍ كُنْتُ قدْ اعْتدْتُ اقْتِداءهُ،
ألْحانُ عِشْقٍ عُزِفتْ علَى وَتيرَةِ الأملْ
وَكلِماتُ تَروٍّ تُلِيَتْ على نغماتِ السَّهرْ،
تَسَاءلْتُ قبْلاً كيفَ هُوَ الحُبُّ
فلمْ ألْمحْ في الأفُقِ إجابَةً، ولَكِنْ...هُوَ...يا ليْتَهُ لمْ يُجِبْنِي.
هُوَ رسَمَ لِيَ الحُبَّ بِألوانٍ زاهِيَةْ
عَزَفتْ لِيَ ألْحانَ عِشْقٍ آسِرَةٍ قاتِلةْ،
هُوَ مَحى مِنْ ذاكرَتِي موازِينَ العَقلِ الكامِلةْ
تلكَ التِّي اعْتَدْتُ اقْتداءَها بِخُطىً مُتوازِنَةْ.
هُوَ عَزَفَ لِيَ نَغْمةَ السَّهَرِ الباكِيَةْ،
فعرَفْتُ معانِيَ الحَنينِ والبُعْدِ، وفَهِمْتُ سِرَّ المآسِيَ،
هُوَ أهْدانِي بَسْمةَ قلْبٍ ودمْعةَ اشْتِياقْ
لكنِّي لنْ أكونَ ذات الحِسِّ الأسيرِ، تِلْكَ، صاحِبَةَ التِّرْياقْ

لَنْ أكُونَ صاحِبَةَ الفِكْرِ المُنْتَشَلِ والعَقْلِ المَأْسورْ
لَنْ أكُونَ صَــــاحِبَـةَ الـذِهْنِ المُنْبَتِرِ والقَلْـبِ المكْسُــــور...
بِسببِكَ...
بِسبَبِ حُبّ كُنْتَ قدْ أوْهَمْتَنِيه
وعِشْقٍ كُنْتَ قدْ وعَدْتَنِي دِفْأَهُ لا مآسِيهِ.
لَقدْ أحْبَبْتُك بِرُوحٍ اعْتَبَرْتُها ساذَجَةْ
لأنَّ كَلِماتَكَ جاءَتْ منْ قَلْبٍ ذو نبضاتٍ كاذِبَةْ...
ولِكِنْ...ها أنا اليَوْمَ أمامكَ،
أقْرأُ كَلِماتِي لا كَلِماتِكَ،
كَلِماتٍ جاءَتْ من قَلْبٍ طاهِرٍ،
نعمْ، أحبَّ يومًا صُورَةً كاذِبَةْ،
لَكِنَّهُ سُرْعانَ ما شُفِيَ ووَقَفَ وقْفَةً شامِخَةْ
أمامَ حُبّكَ الذِي صار اليَوْمَ مُجرَّدَ ذِكرى واهِيَةْ..

النِّساءُ و الرِّجال

جَمالٌ و شَغَفٌ، رِقَّةٌ ودَلالْ
هذا ما يراهُ في المرْأةِ الرِّجالْ،
صوَّروا فيها إذا أرادوا الحَنينْ
كُلَّما رَغِبوا في الحُبِّ والغَزَلْ،
ولَمَحُوا فيها الغُمُوضَ والأنينْ
كُلّما اخْتَلَفوا في الرَّأْيِ، في السَّمَرْ
لَكِنَّ الضُّعْفَ صِفَةٌ تَفَرَدَتْ بِها
إذا ما تحَدَّثوا عن القيادةِ والعَمَلْ
فَفي مُجْتَمَعٍ يَسودُهُ قانُونُ الغابِ
لَيْسَ للمرْأةِ مَكانٌ مُسْتَهَلّ...
ضَعيفَةٌ هِيَ، شديدةُ الحياءْ
هذا ما قالَهُ الرَّجُلُ في وَصْفِ النِّساءْ
ناقِدًا طَبْعَ المَرْأةِ في كِبْرِياءْ،

والحقيقةُ أنَّهُ يَخْشى التَّنافُسَ
والضُّعْفُ يَبْتَليهِ في حَضْرَةِ النِّساءْ.
فَلِماذا تُخْفي حقيقةَ الطَّبْع
فالرِّجالُ رِجالٌ والنِّساءُ نِساءْ،
والتَّكامُلُ حلُّ التَّعامُلِ للبقاءْ.
وفي الخِتامِ أرَدْتُ تذْكيرَكَ بِرَجاءْ
فَعَمَلُكَ يَعْكِسُ طَبْعَكَ كإنْسانْ
لا الجِنْسَ، لا اللَّوْنَ، لا الدِّينَ ولا انْتِماءْ،
فلا تُعَمِّمْ في وَصْفِكَ الرِّجالَ والنِّساءْ.

كَلِمَةٌ... في حبِّ شاعر

**أحْبَبْتُكَ سيّدي...ولم أعْرِفْ
أنِّي في حُبِّ شاعِرٍ واقعة.
لم أعْرِفْ أنِّي في هذا الحُبِّ
سأُخاطِبُ البَدْرَ...في وَضَحِ النَّهارْ.
لمْ أعْرِفْ أنَّ صَمْتَ عينَيْكَ
سَيُدْخِلُني مقاهٍ بِلا أسْماءٍ،
ويُشْرِبُني أقْداحًا بِلا عُنْوانْ.
لم أعْرِفْ سيّدي أنَّ حُبَّ الشَّاعِرِ أبْكَمْ،
يَعْزِفُ في صَمْتٍ دُسْتُورَ اللّوْنِ الأحمرْ
ويَطْلي بالأزْرَقِ آلافَ الجُدْرانْ.
أحبَبْتُكَ سيّدي ولم أعْرِفْ،
أنَّ حُبَّ الشّاعرِ أعْمى،
يَرْسُمُ خصري تحتَ عدَسَةِ المِجْهَرْ.**

تَنَهُّداتُكَ صارتْ مُرْشِدَتي
وكَلماتُكَ جَعَلَتْني سيِّدَةَ مُضارَباتْ،
أُحِبُّكَ بِأُسْلوبِ الوحْشِيَّةِ والحضارَةِ
وأبْحَثُ فيكَ عن الكَلِمِ وعنِ السُّكاتْ.

أُحِبُّكَ سيِّدي...لكِنِّي لم أَعرِفْ،
أأَبْحَثُ عنِّي بينَ كَلِماتِكَ
أو في غابَةِ صَدْرِكَ
أم بَيْنَ شهيدِ عَيْنَيْكَ
ورَعَشاتِ أصابِعِكَ التي تُهَدْهِدُ النَّوافِذْ.

كُنتَ تُجيبُ طَرْقَ المَطَرْ
على جِسْمِ نافِذَةِ البَلُّورْ،
تُداعِبُ خُطُوطَ وجْهِها
كَأَنَّكَ تُخَفِّفُ عنها وَقْعَ المَطَرْ،
وتُؤْنِسُ فيها وِحْدَةَ العُصورْ.
وأنا، كُنْتُ أبْحَثُ عنِّي...
أتراني رَعشاتً على الوَجْهِ،

أم تراني في سَخَطِ البَغَرْ
أتراكَ تَراني، أنا، بينَ زَخَّاتِ المَطَرْ
أم تراني جالِسَةً على كُرْسيِّكَ
وراءَكَ،
أسْتَشِفُّ وأقْرَأُ ما ليْسَ لهُ مِنْ أثَرْ.
أحْبَبْتُكَ سيِّدي وأدْمَنْتُ على حُبِّكَ
فَقَرَأتُني بين قصائِدِكَ وفي كَلِماتِكَ
وصَمْتِكَ.
ورَسَمْتُني بينَ أصابِعِكَ
وفي قَطْرَةِ عِطرِكَ وسوادِ قَهْوَتِكْ.
أحْبَبْتُكَ سيِّدي...ولم أعْرِفْ
أنَّ حُبَّ الشّاعِرِ لها،
يَجْعلُ مِنَ المرْأةِ شاعرة...

عبير بوقرة

وفي ظِلالِ هذا الحُبِّ وعلى تُرابِهِ وبين جُذورِه، جاء مَفْهومُ حُبِّ الانتِماءْ.
فَكَتَبْتُ الوطنَ على أوراقٍ خِلْتُها بيضـــاءْ ورَسَـــمْتُ ملامِحَ حُزْنِـهِ بِكَلِمـاتِ الرَّثـاءْ، لكِنّي لمْ أكْتَفِ بِنَقْلِ دَمْعِ البُكـاءْ، فَعَزَفْتُ مقطوعاتِ فَخْرِهِ على صـــفحاتٍ شَـــهِدتْ لِوطَنِنا العربِيّ بِتاريخِ الصَّفا، فقُلْتُ:

كُنتُ قد شـربتُ من كأسِ اليأسِ جُرعةً تكفي لِتبنيَ الصمتَ أمام مشاهد الظّلمِ الداميةْ.
كُنتُ قد وضـعتُ رِداء الخضـوع بذْلةً يَخْفَى صـوتُ الوعي تحتها ويُزاحُ.
كُنتُ قد حفَرتُ على كتاب الحياة كلماتٍ، تَدفنُ روح التّحرّر في ظُلُماتٍ داكنةْ.
كُنتُ قد نكرتُ وعي الضّـــمير العربيّ نكرًا، تبكي لهُ الروح والأعينُ السّاهرةْ.
كُنتُ قدْ صـرختُ في كتاباتي بكلماتٍ تَرسُـمُ صـورة العربيّ بألوانٍ باهتة، فتقولُ يا ليتَ عُدنا لِحقباتٍ سابقة كان فيها للإسلامِ صوتٌ وللضّمير العربيّ هيبةٌ شامخةٌ آسِرة.

أنكرتُ ورفضتُ وتناسيتُ فلم أشعُرْ بهبّاتِ النّسيمِ النّاعمةْ عندما أَعلنتْ صوتَ الحرّيّةِ القادمةْ.

لِم أُصــغِ لِنغماتِ التّحرّرِ المُنطلقةِ من الأفواه التي اعتُبِرت صامتةْ.

لم أرَ نُورَ الثّورةِ المُندثِرِ من بينِ طبقات الظّلمِ القاتمةْ.

شــغلني نقدي عن رُؤيةِ الحقيقةِ الآسِــرةْ، بأنّ الشّــعب العربيّ يقظٌ يرى من بين أســطُرِ الكتاباتِ ويقرأُ المعانِيَ غيرَ المُعلنةْ.

شغلني نقدي عن التّأمّلِ في الأعيُنِ العربيّةِ.

شــغلني نقْدي عن قراءة معانِي الكفاحِ المُرتســمةِ على ملامح الأمّ الباكيةْ.

شــغلني نقدي عن رُؤيةِ أنّ صــورة الابنِ المســجونِ ظُلمًا كانت وراء هذه المشاهدِ السّائدةْ.

شــغلني نقدي عن إبصــار الحقيقةِ وراء بســماتِ الوجوهِ الزّائفةْ. شــغلني نقدي عن لَمْحِ حقيقـةَ أنّ روحَ التّحرُّرِ هنـاك كامنةٌ كامنةٌ، في نفس العربيّ، تتأمّلُ شُــعلةَ الأملِ التونســـيّ، تترقّبُ ثورةَ المِصــريّ، تُســيِّرُ انتقامَ المُواطِنِ اللّيبيّ، تُحيي أملَ اليمنيّ وتُزكّي صبر المُواطن السُّوريّ.

لقد شغلني نقدي عن رُؤية أنّ روح التّحرّرِ وصوتَ الوعيِ كامِنانِ في نفس المُواطنِ العربيّ، مُؤسّــســانِ لكتابة صــفحاتٍ جديدةٍ للتّاريخِ الإنسانيّ.

شـــغلني نقدي عن رُؤيـةِ حقيقـةٍ تجـاهـاتُهـا طويلاً إلاّ أنّ ثوراتِ الرّبيعِ العربيِّ جاءت فجأةً لتُنير ليَ المشـهدَ و تَرسم لي، بل لكلٍّ منّا، حَقيقةَ النِّضَالِ العربيِّ ومعنى التّحرُّرِ الحقيقيِّ.

لم أستطعْ إلاّ أن أُترجمَ ذلكَ في بضعِ كلماتٍ أحسَبُها زائلةً لكنّ التّاريخ سيُؤكّدُ أنّها راسِخةٌ. نقدتُ وتناَسيتُ فذُهلتُ وقُلتُ:

عجبي لعينٍ أبصرتْ دموعَ ضحكٍ وتجاهلت البُكاءْ
عجبي لأذنٍ أصغتْ لضحكاتِ فرحٍ وأغفلت الصّياحْ
عجبي لشِفاهٍ ترجمتْ كلماتِ السّعادةِ وتناستِ الأحزانْ
عجبي لكلماتٍ صرختْ معاني التّحرّرِ وأهملت الوقائعْ
عجبي لضميرٍ نَبَضَ بروحِ الحياةِ وتعمّد التّغافلْ
عجبي لعربيٍّ أبصرَ حقائقَ الواقعِ واختارَ التّجاهلْ
عجبي لسُكوتٍ لم يُعرف بغلاءِ ذهَبٍ إلاّ في التّشاوُرْ
عجبًا وعجبًا وعجبًا ولكن عجبًا لِروحِ عربيٍّ ثائِرةٍ لواقعِ التّحايُلْ
عجبًا لِنفسٍ عربيّةٍ تُفارقُ الحياةَ من أجلِ التّحرّرْ
عجبًا لأبٍ عربيٍّ يختارُ الأبديّةَ من دونِ التّساؤلْ
عجبًا لأمٍّ عربيّةٍ تفخرُ دِماءَ أبنائها في سبيل السّلامْ
عجبا لثائرٍ عربيٍّ نفخَ في الأمّةِ صوتَ القِيامْ

عجبًا لثورةٍ عربيّةٍ هزّتِ العالمَ صحْوةً بعد النّيامْ
عجبًا لأنوارٍ ثوريّةٍ جالتِ الأمّةَ محوًا للظّلامْ
عجبًا لرياحٍ قُدُسيّةٍ نُفختْ على العربِ مُعلِنةً التّقدّمَ للأمامْ
عَجِبتُ وعَجِبْتُ وأُعْجِبْتُ ولم أَعْجَبْ قدر ما أُعْجِبْتُ بالتّحوّل العربيّ من الغفلةِ إلى التّحرّرْ:

ومن التّغافُلِ إلى التّحريرْ في زمنٍ قادتهُ نظرةُ التّغييرْ
وربيعٍ عربيٍّ سيشهدُ لهُ تاريخُ الإنسانِ بصحوةِ الضّميرْ
بينَ عَجبٍ وإعجابْ نحتتْ ثورةُ العربِ على صفحاتِ اليقينْ
بأنّ الباطِلَ يليه حقٌّ يظهرُ ولو بعدَ حينْ.

الهوية العربيّة

إنْ كانَ لي قَوْلٌ في ما يَحْدُثْ
وإنْ كانَ للكَلِمَةِ وَقْعٌ على الزَّمانْ
ستَكُونُ البساطَةُ أولى كَلِماتي
والوُضوحُ صِفَةَ مُخاطَبَتي الإنسانْ
فقد رأيْتُ جهلًا مُدْقعًا
وتَجاهُلًا كادَ يبكي لهُ الزَّمانْ
فأبْصَرْتُ غِشًّا وتلاعُبًا
وكُرْهًا وغَضَبًا واغْتِصابًا وافْتِتانْ
كلٌّ يمشي على هذه الخُطَى
وكُلٌّ يُقادُ مشيًا مع العِميانْ
عِمْيانِ بَصَرٍ وعقلٍ ورُوحٍ
عِمْيانُ حِسٍّ، وفِكْرٍ وكيانْ،
فما الذي تَفْعلْ أيَّها الإنسانْ؟

و ما الذي يُمليكَ فِعلًا سيانْ
كَلِماتُ تساؤلٍ صُرِختْ،
فردَّ القبّانِي مُجيبًا الكيانْ:
"خُلاصةُ القضيّة
تُوجَزُ في عِبارةْ
لَقِدْ لَبِسنا قِشْرة الحضارةْ
والرُّوحُ جاهليّة..."
صَدَقْتَ يا شاعِرِ الإنسانيّةْ
فلا حضارةَ تَتْبَعُ الغيرَ بِصِفةٍ اعتِباطيّةْ
فإمَّا بِناءُ أسُسِ هُوِيَّةٍ عربيّةٍ
وإمّا الفَنَاءُ على سَفْحِ حَضارَةٍ غرْبِيّةْ.

ذاكَ الوطن

الرّيشةُ... والحِبرُ
والورقةُ البيضاءْ
وكلماتُ الأبجديّةِ
وحُروفُها جمْعاءْ
لن تُعبِّر عن شُعوري
ومشاعِري الصَّمّاءْ
تُجاهَ حبِّ الأرضِ
والعشْقِ والوفاءْ
لِما أراهُ في تونِسَ
بلادِ الأوْفِياءْ
ولِما يَرْسُمهُ وطنِي
مِن عِزّةٍ وكِبرياءْ،
لِكلِّ فقيرٍ فيهِ
وكُلِّ الأُمراءْ

فالتُّونسيُّ تونُسيٌّ
بالفخرِ والولاءْ،
تاريخُنَا ثريٌّ
بِأقْوالِ الحُكماءْ
وإنْجازَاتِ التّحريرِ
وحتّى بعضِ الهُراءْ
وغْدُنا مُشْرقٌ
بإذْنِ الواهِبِ المِعْطاءْ،
فشعّبُنا صامِدٌ
في الدِّفءِ والعَراءْ
وثورتنا دليلٌ
عنْ روحِنا الوهْجاءْ.
اِحْذرْ أيّها الغدُ
فالتُّونسيُّ قادمٌ
بعزيمةٍ من نارٍ
وسِجلٍّ من الشُّهداءْ
ليبنِيَ أرْضا واعِدةً
تُونسَ... أرْضَ العدلِ والجلاءْ.

هُم و أنا

كُنْتُ قد تَعَوَّدْتُ النَّقْدَ
وتَعَلَّمْتُ التَّغافُلَ عن أقوالِهِمْ،
كُنْتُ قد اعْتَدْتُ التَّجاهُلَ
وصمَّ آذاني عن أحاديثِهِمْ
"الحياةُ تُحيدُ الإنْسانَ عن الخُلودِ
دِراسَةٌ وزَواجٌ فأبْناءٌ فانُونْ"
هذا ما كانوا في الحياةِ يقولونْ
لكِنِّي أبْقَيْتُ التَّساؤُلَ حيًّا
في ذِهني وعقلي وثنايا الوُجودِ
"ماذا عن الحُلْمِ والعِشْقِ والأملْ
ماذا عن الشَّغَفِ والصَّبْرِ والسَّمَرْ
هلْ تَرَوْنَ في ذَلِكَ ما أراهُ بوُضُوحٍ
مِنْ جَمالٍ للكَوْنِ وكَمالٍ للوُجُودِ
وذخيرةٍ للسَّعْيِ وفَتيلَةٍ للصُّمُودِ."

عبير بوقرة

في حُبِّ تُركيا

رأيْتُ فخْرًا وحماسًا وسَعْيًا واكْتِفاءْ
شَغفًا وفَرَحًا وابْتِسامًا وارْتِواءْ
وتسابُقًا وتَحدِّيًا وجمالًا وبَهاءْ
وتَفَوُّقًا وتآسُرًا وتعاوُنًا وانْتِماءْ
وزَهْوًا وخِفَّةً وحراكًا وحياءْ
وتآزُرًا وتَماسُكًا وتآخِيًا وسماءْ،
رأيْتُ كُلَّ ذَلِكَ في الأتْراكِ البُسَطاءْ
مِنْ مُواطِنينَ، أغْنِياءَ وحتَّى الفُقَراءْ
فما أسْماهُ مِن بَلَدٍ، بَلَدِ الكُرَماءْ.

<u>**عبير بوقرة**</u>

هذي بلاد

**هناكَ بلادٌ،
يحيا بـها الغيابْ...
سلاطينُـها قِمَمُ
تُبنى على عَتَمِ الشبابْ
وأبنـاؤها رُكبٌ
في الغِاب كالذّبابْ...
رُجولـةٌ، كان القتلُ للنّقمِ فيـها
وبلاهةٌ فسذاجةٌ هو فنُّ الخِطابْ.
هذي بلادٌ، هنـاكَ
بُنِيَتْ على التُّرابْ.
دفاترُ الرسم فيـها تعدّت الكتابْ
وملوكُ الإنسِ فيـها
تخطّت الإطنابْ،
حدودُ الأرض لم تكفيـها**

فالعِلمُ والتُّرابْ
وحتى الدينُ والسُّلْطَةُ
والسِّلمُ والشبابْ،
هذي بلادُ عَجَمٍ
في العُرفِ والأفكارْ
فالعزيمةُ جنونٌ
والسّعيُ بِها خُوارْ
والهزيمةُ نجاحٌ
والغش بها انتصارْ.
احتارَ بها الإنسانُ
اغترَّ بها الساداتْ،
هذي بلادٌ، هناكَ
تاقت بها الأوصالْ
إلى ريحٍ نقي
كتوق زهرٍ في البُستانْ
لريحٍ زكي
للياسمين أو النعناعْ،

هذي بلادُ العربِ، والغرب والإنسانْ
هذي بلاد العالمِ، اليومَ في سياقْ
هذي بلادٌ بُنيتْ في الأمس على التُّرابْ
واليومَ تطفو غرقًا
على الأديم، في سُباتْ.

الموت الأليف

بينَ مشْرِقِ الشَّمْسِ ومَغْرِبِها
بينَ شَهْقَةِ المَوْتِ وسَكْنَتِها،
يحْيا ذاكَ المَوْتُ الأليفْ،
تُخْطَفُ فيهِ أنْفاسُ قُبَلٍ
وفيهِ يَمُوتُ شَغَفُ الصَّيفْ.
تَسْكُنُ دُمُوعُ الهَيْمِ وسائِدَ،
يَصْرُخُ صَمْتُ القُبُورِ حَنِينًا،
يُعْزَفُ لحْنُ البَقاءِ صَخَبًا
وتَبْسِمُ الأيادي لِأيْدٍ قريبة،
يبكي الحنينُ صَخَبَ الصَّمتِ
وتشكو القُلوبُ حُرْقَةَ البرد...
بين طَرْفَةِ العَيْنِ وغَمضَتِها
بينَ لَفْحَةِ الرِّيحِ وسَكْنَتِها

بينَ بَتْلَةْ الوَرْدِ وبتْلَتِها
يَحْيا حُبُّ الأُنثى ويُقْتَبَرْ
ولا يَعُودُ حيًّا، بِغَيْرِ عَزْفِ البَشَرْ.

هي...

كَتَبْتُ أشْعارًا وقصائِدَ وكِتاباتْ
وكَلِماتٍ ليست كبقيَّةِ الكَلِماتْ
كَتَبْتُ في وصْفِكِ، أجْمَلَ المَلِكاتْ،
تَنْعَمينَ سِحْرَ جَمالِ الأَميراتْ.
في حُضْنِكِ تتراقَصُ أبْهى الفراشاتْ،
على صَحْراءِ أرْضِكِ تنمو النَّخلاتْ
وعلى شُرُفِ ظِلالِكِ تَهُبُّ النَّسَماتْ.
عِطْرُك، أزْكى روائِحَ الشُّرُفاتْ
وهواؤُكِ عطّرَ بنسماتِهِ الأوْساطْ
تتلألأُ عيْناكِ تَحتَ قَمرِ الظُّلُماتْ
لتُنيرَ للعابِرِ سبيلًا...لَيْلًا، على الطُّرُقاتْ.
تبْسمينَ لِوَضْعٍ ساخِطٍ على تَقَلُّبِ السِّياساتْ
وتَصْبُرينَ على بَطْشِ صاحِبِ البِناءاتْ،

عبير بوقرة

ترْأفينَ بعَطْفِكِ على أيْتامِ البَلْداتْ
وتتصَدّقينَ بخَيْرِكِ على طالِبي المَعُوناتْ،
فَكَيْفَ تَسْألينَ عن تِلْكَ الكَلماتِ
التي كتبْتُها اليومَ في فَخْرِ الحسناتْ،
حسناتِ جَمالِكِ وخَيْرِكِ وصَبْرِكْ
حسناتِ عِزَّتِكِ، يا تونسَ الخَيْراتْ.

إنّي أموت

إنّي أموتْ،
في كلِّ لحظةٍ عيشٍ أموتْ.
أموتُ مضغةً في بطنِ حوتْ
أو بين نظرَتَيْ حبٍّ وقُنُوطْ.
أرفعُ شارةَ حواسّي وجسدي
فأغرقُ بين عالمَيْ حِبْرٍ وسُدودْ.

في هذا الأخيرْ،
صوتُ حقٍّ برائحة الفُتورْ
ووقْعُ الكلمَةِ بصمت القُبورْ
تُرشدني هي، ملامسةَ الصدورْ.
أُمرِّرُ شفتايَ بين ثنايا دجلةَ،
وأحني يداي على هضابٍ دُغالْ
فأتلمَّسُ صدرًا أجْوفَ،

وابلَ الرّصاصُ على ثنـاياهُ وسالْ.
أمُرُّ بنَفَسي على جبال قاسيونْ
فتُلْحفُ جسدي سَكَرَاتُ فتُونْ،
فملمسُ الجبل أحمرْ، ورائحة الجبل أحمرْ
وصوتُ الجبل أقبلَ بمرأى دمٍ أحمرْ.

أمَّا في ذاكَ، فيما لم يكن الأخيرْ،
فملمسُ العيش ذو طعمٍ مريرْ.
أنـاملُ الصَّمتِ ترقى بالقتيلْ،
وصوتُ الشّهوة لا يطفى كالفتيلْ.
هنـاكَ، تنـام القُبَلُ على أسرَّةِ الأنينْ
ملحوفة بالعصيان، بخطايا العاشقينْ
في منـازلَ من عدَنٍ وحيطانٍ من حريرْ
وبياضٍ من غَمَدٍ ورمادٍ من صَقيعْ
ودِثارٍ من شَغَفٍ وأكوابٍ سلسبيلْ.

بين حبرٍ وسُدودٍ عاش جسدي
بين عالمَيْ صُراخٍ وجُمودٍ سكنَ صَفَدي.

بين قصيدةٍ وكلمةٍ عاشَ نفَسي
وبين نَفَسٍ وحياةٍ مات جسدي.
فأنا الآن، أموتْ...
في كُلِّ كلمةِ حبرٍ أموتْ.

صوتٌ مِن المَقْدس

مِنْ وراءِ حَجَرِ المُقاومةِ
ومِنْ على ظَهْرِ تَلَّةِ الإنتِفاضَةِ،
سُمِعَ صَوْتٌ يُنادي:
"لِماذا يَرْسُمُني الشَّاعِرُ بالحِبْرِ الأسْوَد
ويُلْقي عليَّ الشّاهِدُ الطَّرْحةَ السّوْداءْ،
لِماذا يَبْكيني للقِسْمِ المُدرِّسُ
ويُغنّيني الكاتِبُ بِصَوْتِ الرّثاءْ.
لماذا أنا...صِرْتُ مَلْجَأَ المَوْتِ ومُقْبِرَ الدَّفَا
بعدَ أنْ كُنْتُ شُعْلةَ الحياةِ للدّينِ والإنسانْ؛
بعدَ أنْ أتاني الرَّسولُ وأَقْبَلَ عليَّ المسيحْ،
بعدَ أنْ وجدوا فِيَّ وطَنًا ودارًا ودَواءْ
صِرْتُ أُصَدِّرُ للقارىءِ مقالاتِ البُكاءْ...
لِماذا تَبْكيني أيُّها الشَّاعِرُ؟
أَلم أكُنْ أبداً في لَوْنِيَ خَضْراءْ،

أُسْكِتُ جُوعَكَ بالزَّيْتُونِ والتّين
وأُصَدِّرُ للآمِلِ خُطُوطَ علمي البَيْضاءْ؟
تَوَقَّفْ....
تَوقّفْ الآنَ سيّدي عنِ النُّواحِ والبُكاءْ!
ولا تَكْتُبْني ها هُنا بِكَلِماتِ الرِّثاءْ،
فأنا اِسْمِي دَوْلَةُ فلسطينْ:
أنا دَوْلَةُ الحُرِّيَّةِ بِفساتينِيَ الحَمْراءْ
أن دَوْلَةُ المقْدِسِ، وفَخْرُ الصَّابِرينْ.
لا تَبْكِ...لا تَبْكِني في شِعْرِكَ سَيِّدي
فَنَصْرِيَ قادِمٌ قادِمْ، ولَوْ بَعْدَ حِينْ..."

قالتْ سَوْسَنَة

"اليَوْمَ، أُسِرُّ لكَ سِرَّ الجَمالِ،" قالتْ سَوْسَنة،
"ماذا لَوْ أخْبَرْتُكَ عن معنى السَّناءِ والكمالْ؟
سرِّ عِناقِ القَمَرِ والماءْ،
ماذا لوْ حِكْتُ لَكَ اللَّيْلَ رمادًا؟
وأسْمَعْتُكَ نشيدي،
يتلوَّى على نغَماتِهِ حَجَرُ الطَّريق،
وماذا لَوْ أسْمَعْتُكَ نَغَماتِ السَّوسَنِ المُزْدانْ؟
ماذا لوْ أهْدَيْتُكَ قَطْرَةً مِنْ رحيقِ وادِ؟
ندًى، يسيحُ على حَجَرٍ كَسولْ،
يجري نهارًا ويَرْتاحُ في المساءِ
يملأُ رِئَتَيْهِ عِطْرُ الكَسْتناءْ؟
ماذا لَوْ أَرَيْتُكَ حبَّاتِ النَّدى
تُصْبِحُ على عُشْبٍ شَبِقَ الحياة،

وحَمَامَةً تُناغي صِغارَها
وتَسْقيها أَلِفًا تِلْكَ الكُرَياتْ".

"اليَوْمَ، أُسِرُّ لكَ سِرَّ الجَمالِ،" تقولُ سَوْسَنة،
"قمري ونجمي في سَماءِ كَوْني،
أنا العبيرُ، أنا الكَمالْ.
وأنْتَ... أنْتَ اليَوْمَ كُنْتَ نَقْصي،
آهٍ، لا تَدُسْ على عُشْبِي،
لا تَكْسِرْ عبيري، لا تَخْطِفْ لِهاثي،
إنَّ خَطْوَكَ يَقْتُلُ هذا الجَمالْ...
'آهٍ' مِنْ ظِلِّ ذاكَ الجمالْ."
هذا ما أسَرَّتْ لي بِهِ سَوْسنة...

في ٣٠ مِن شـهرٍ ديسـمبر مِن سـنـةِ ٢٠١٥، دقَّتْ أجْراسُ الذِّكْرى فجاءت مُحَمَّلةً بِكلماتٍ مُثَقَّلَةٍ بالعتاب، بالحُبِّ و العتاب.

هذا اليومُ شَهِدَ الذِّكرى الخامسة عشـــر لاسْتشهادِ الطِّفْلِ الفلسطينيِّ محمّد الدّرّة، رحمةُ الله عليه.

وإن لم تكُنْ قصـائِدُ الدَّهْرِ لِتَكْفِيَهُ حقَّهُ، إلّا أنّي ارْتَأيْتُ كِتابةَ قصيدةٍ على لِسانِهِ لِتُمثِّلَ كُلَّ طِفْلٍ عربِيٍّ اسْتُشْهِدَ في صِراعِهِ معَ الوُجُود.

القصـيدةُ أسـاسُـها كلماتُ الدّرّة الأخيرة لِوالِدِهِ: "اِطْمئنَّ يا أبي، أنـا بخير."

"اِطْمئنَّ يا أبي، أنا بخير"

"اِطمئنّ يا أبي، أنا بخيرْ."
اِطمئنَّ، فاليومَ أمّتي تثأر لدمِي
اِطمئنَّ فاليومَ يُسجّلُ التّاريخُ بخطٍّ عربيٍّ،
أنّ محمد الدّرّةَ طفَلٌ فِلسْطينيٌّ
خَفَتَ قِنديلُهُ على مرأىً أُممِيٍّ،
بسلاحٍ صينيّ، وذَخرٍ أمريكيٍّ
على يدِ ذاك الجُنديّ الصّهيونيٍّ.

"اِطمئنَّ يا أبي، أنا بخيرْ."
فاليومَ أُمنحُ جواز سفري الأبديٍّ.
الاسمُ المدوّنُ،
طفلٌ عربيٌّ،
ومهنتي، تبصيمُ عارٍعلى كيانِ الوجودْ
كيانِ الوجودِ العربيِّ الإسلاميٍّ..

ولكنْ، أوليست تلك أمّتي يا أبي؟
انظرْ يا أبي، تاريخُ صلاحيّةِ هذا الجوازِ تنتهي اليومْ،
اليومَ تنتهي بموتِ عُروبتِي.
لكنّي أُريدُكَ أن تطمئنَّ يا أبي،
فأنا بخيرْ.

اِطمئنَّ يا أبي، فاليومَ تَحْلُو صُحْبتي،
ينتقلُ بجانبي الغريقُ السّوريّْ
غالب كُردي، وشقيقه إيلانْ؛
المهنةُ: لاجئٌ سوريّْ
لكنّه صاحبُ سوابِقَ يا أبي؛
التّهمةُ: ابتغاءُ الطّفولةِ والعيشِ الأبِيِّ.
الحكمُ: الموتُ غرقًا على شاطئ أجنبيّْ.
كِدْتُ أنسى أن أُخبِرَكَ بقصةِ عليّْ،
أَوَ تذكُرُ ذاك الجنديَّ الصّهيونيّْ،
لم تمض إلّا خَمْسَ عشْرةَ عامًا،
لكنّك تذكره يا أبي!
لقد قام هو بحرق منزل عليّْ،

دوابشةُ فلسطينَ، تعرفُهُم يا أبي.

اِطمئنَّ الآن واسترحْ، يا والدي،
اليومِ أمضي بصُحبةِ هؤلاءْ
وأطلُبُ المغفرةَ منكَ ومن أُمّتي،
فقد مُنِحتُ تَذكرة الذّهابِ، لكنَّ العودة أثقلت كاهلي
فحُكمُ الطّفولةِ شاقٌّ، شاقٌّ في موطني...
لكنّي أُريدُكَ أن تطمئنّ يا أبي،
فأمّتي وعدتني أن تثأر لدمي،
"دمٌ أثمنُ عندي من هدم الكعبةِ،"
هذا ما أكّده لِيَ خالقي...

وبعدَ أن عبَرْتُ بريشَةِ الحُبِّ مُخْتَلَفَ بِقاعِ العالمِ الجُغْرافيّ، اِرْتَأَيْتُ أن أَرْســوَ بها ضِــفافَ اللُّجين، لُجَيْنِ الكلام، حيثُ يَبْحثُ الإنسانُ عن معنى الإنسان.

اِرْتَأَيْتُ أن أُسائِلَ ريشتي عن معنى الكَلِمةِ، ودلالة الكلمة.

اِرْتأيْتُ أن أُسائِلَ قلمي عن معنى العيْشِ في حُدودِ الجسد، جَسَدِ المُضاربات: الصِّراعُ والسّلام.

اِرْتأيْتُ أنْ أعاتِبَ الحُبَّ وأسْألَهُ عنْ معنى وُجُودِهِ وصُوَرِه.

اِرْتَأيْتُ أنْ أتساءلَ عن معنى الوُجودِ، ومعنى الحُبِّ في هذا الوُجودِ، علَّهُ يســمعُني ويشــفي عَطَشَ رُوحِيَ الولْهاءْ، فقُلتُ مُعاتِبَةً الحُبَّ الذي أرْداني اليَوْمَ شــهيدةَ ذاكِرتي- ذاكِرَةَ الحُبِّ في صورَةِ رَجُلٍ:

محمود

لا أُعاتِبُكَ، بل أُعاتِبُ تبْغكَ.
أنا أُعاتِبُ رائِحتكَ، عبقكَ، وقُبلتك.
أُعاتِبُ فيكَ الغيابَ الحاضرَ ومِنْفَضةَ أنفاسِكَ التي صارت تُملي عليَّ حُزني وضَحِكي وكُلَّ تقلُّباتي ومِزاجي.
أتَعْلَمُ أنَّهُ مِنَ الغريبِ أنْ تشتاقَ شخْصًا لم تَلْتَقِه سابقًا؟
بل إنَّهُ من الأغْرَبِ أَنْ تشتاقَ نَفَسًا لم تشربْهُ قبلًا، ورائِحةً لمْ تَلْمسْها أنِفًا.
وأنا بِرَغْمِ ذلِكَ أشْتاقُك...
لم أعهد حُضورَكَ، لم أعهد همْسَكَ على ثنايا جسدي أو رَفْعكَ رايَةَ شغفي على متْنِ سفينةِ الهيَجانِ والغرقِ، في بَحْرِكْ.
لم أعْهَدْكَ ولمْ أتعوّدْ لمستك، وطَرْقَكَ وأنامِلَكَ ونارَكَ وحريقكَ وشَغَفَكَ وقُبْلَتَكْ.
لكنّي برغمِ ذلِكَ أشْتاقُكْ.
أشْتاقُ لهيبَكَ الذي تُلْحِفُني بِهِ النَّسماتُ لَيْلًا.

وأشتاقُ أنينَ قُبُلاتِكَ الذي تُهديني إِيَّاهُ مُخيِّلتي...في اللَّيل...
أليْسَ ذاكَ هو زَمَنُ الحُبِّ، لَيْلًا؟
أليْسَ هُو الوَقْتُ الذي تتربَّصُ فيهِ الأشْواقُ بِلهثاتِ العِشْقِ وصـرخاتِ المُتْعَةِ وتَنْقَضُّ فيهِ الدَّمعاتُ على ذِكْرَياتِ الحُبِّ الخافِتةِ، الباهتة.
لكن حُبُّكَ: ليس لِحُبِّكَ ذاكرة. ولا لِجَسـدي مراجِعُ مُذاكرةٍ لِحُبِّكَ وأنامِلِ حُبِّك.
أنا أصْنَعُ الحُبَّ معكَ، وأسْتَرِقُ لمساتِ الشَّغَفِ مِنْكَ في مُخيِّلتي، وباقي خلايا جسدي التي صارت مرقدًا لأعشاشِ اللَّذةِ واللَّهفةِ والإثارةِ والشّغف.
تراها مرصـوفة كُلّها مربوطةً لِأعشاشٍ مُختلِفةٍ، بِأرْبطةٍ مُلَوَّنةٍ، الإثارةُ فيها حمراءُ، والشَّغفُ فيها أسْوَدُ، واللّذّةُ فيها بيضاءُ. وترى كُلًّا منها موضوعة على خليّةٍ مِنْ خلايا جسدي، مرصوفةً، تفصِلُ بينها ثنايا الحُبّ، وتَصرخُ باسْمِك.
أليْسَ مِن الغريب أن أشتاق عواصف غضبك؟
حقًّا، إنَّهُ لمن الغريب أن أشتاق عواصِفَ كانت تُداعِبُ ملاءاتِ جسدي وتضفِرُ بمياهِ بِحاري فتزيدُها هيجانًا.

تِلْكَ البِحارُ التي تَبْعثُ بِالإثارةِ مدًّا على شـــواطئها، فقط لتمسحها الموجة المُوالية...ليلا...
أتراني أُحبُّكَ؟
أم ترى موضوعيّة الوحدةِ قد قصفتْ بتُرابِ جسدي لِتَرْسُم حُدودَ مِلْكِيَّتِها وتُعْلِنَ انْتِصابَ شرْعِيَّتِها على هضابي؟
أم ترى الرُّجولَةَ، رُجولَتَكَ المُتَغَلْغِلَةَ في الفُتُحاتِ والأزِقَّةِ، والقائِدَةَ للفُتُحاتِ الأُنثويَّةِ قد أغارتْ على أرْضِ جســدي النَّقِيَّةِ الخصبةِ والمُلْحِدَةِ، لِتُدْخِلَها دينَ الحُبِّ، أو بالأحرى، لِتُدْخِلَها دينَ حُبِّكَ المُتَعَصِّبِ؟
أيُّ دينٍ هذا الذي يَحْكُمُ على مُعْتَنِقِيهِ بالمَوْتِ جَمْرًا تَحْتَ أنْظارِ العيان؟
أيُّ دينٍ هذا الذي يُجيبُ دُعاءَ الوِحْدَةِ بِشَقاءِ اللَّهفَةِ، ويُلْقي بِصَرَخاتِ الصَّمْتِ على كراسـي الشَّـهوَةِ لِيُلْحِقها رِداءَ العِشْـقِ الأحمر، ويَتْرُكها لِوِحْشَةِ اللَّيْلِ، وظلامِ اللَّيْلِ وصقيعه؟
أيُّ دينٍ هذا الذي جَعَلَ مِنْكَ وريدًا لِجَســدي ثُمَّ اقْتَلَعَكَ مِنْ جسدي؟ أيُّ دينٍ كان هذا يا هذا؟
هذا كانَ دينَ حُبِّكَ...وأنا اليوم أرتدُّ عن دين حُبِّك...

دينُ الحُبِّ هذا قادَ ريشتي لِتَعبُّدِ الكتابةِ، فواصَلْتُ الكِتابَةَ:

عبير بوقرة

سيّدي، من أنا؟

اِحْتَرْتُ، هل أنِّي أميرَتُكَ
أمْ أنّكَ مُلكُ أسْراري
فالبسْمةُ تَعْلُو سَرِيرَتَكَ
حِينَ تَلْمَحُنِي وتَرانِي
حين تُلامِسُني أنامِلُكَ
وحينِ تقومُ بإضْحاكي
تتراقَصُ ألْحانُ كلِماتِكَ
وتَكْتُبُ نَغمات دلالي
فتراني اُقاوِمُ قُبْلَتَكَ
والشَّغفُ يمْلأُفُؤادي
وذاك كيْ أحْمِيَ سُمْعتك
وأحْفظَ سُمْعةَ أجْدادي،
ها أنا اليَوْمَ أعْشقُك
وأكْتُبُ بِضْعَ كلِماتِ

وأتجاهلُ نَقْدَ عالَمِكَ
وسامِعِ كلِماتِ حناني
فالمرأةَ إن عَشِقَتْ نُبِذَتْ
في عالَمٍ بَصِيرِ الوِجْدانِ...
فلْنغْفلْ عنِ هذا العالَمِ
بارِدٌ، ساذَجٌ، سريعُ الأَحْكامِ
ولْنشْرَبْ مِنِ رَحيقِ حُبٍّ
سُكِبَ على فلْذاتِ أرْواحِ
فأجَبْنِي سيّدي، لقد احْتَرْتُ...
هل أنِّي اليَوْمَ أميرَتُكَ
أمْ أنَّكَ مَلِكُ أحلامي...

كَلِماتٌ و أشعار

لا أعرِفُ، هل أكْتُبُ في الحُبِّ لِأنّي عاشِقة
أم أنَّ حُبَّ العِشْقِ سِرُّ أشْعاري
فقد ذَرَفْتُ دمعةَ العاشقينَ
وابْتَسَمْتُ بَسْمَةَ العُشَّاقِ
لكِنَّ الحُبَّ لم يكُنْ يومًا، ولم يدخُلْ حياتي.
لَقد كَتَبْتُ كَلِماتٍ في العِشْقِ
وفي معنى الحُبِّ ومفهومِ التَّوادِّ
لكِنّي لم أعرِفْ يومًا قلْبًا
كانَ لِيَ العِشْقَ أو سِرَّ كَلِماتي،
واليَوْمَ حينَ أقْرَأُ هذه القصائِدَ
أظُنُّ أحيانًا أنَّها تَوقٌ،
وأحيانًا أُخرى مُجرَّدَ اشْتِياقٍ
إلّا أنَني أعْرِفُ في داخلي أنَّ هذه الكلِماتَ هي نِدائي

نِدائي للحُبِّ والعِشْقِ والوِدِّ
ونِداءٌ لِحَبيبٍ يَكُونُ حياتي.

إنْ سَأَلُوكَ يَوْمًا عن معنى كلامي
قُلْ "إِنَّ حبيبتي كثيرَةُ الأشْعارِ"
أو حدَّثوكَ يَوْمًا عن فحوى سِواري
وسَبَبِ ثَوْرَتي وقِلَّةِ اخْتِياري
فقُلْ لهم أنَّكَ هكذا فقط
ستُحِبُّ حبيبتَكَ...

قُلْ لهم بأنَّ أمواجَ شعرِها الطَّويلِ
أرْسَتْ بِكَ على عَتَبِ الرَّصيفِ
وأنَّ وَقْعَ كَلماتِها
جَعَلَ مِنْ ذاكَ الرَّصيفِ، أيَّ رَصيفِ؟

قُلْ لهم بأنَّ تناغُمَ خطواتِها
أَوْدى بِكَ على حَجَرِ الطَّريقِ
أنَّ صَمْتَ شَفَتَيْها القليلِ،
أيُّ حَجَرٍ هذا وأيُّ طَريقٍ؟

قُلْ لهم الآنَ يا حبيبي
كَيْفَ أنَّ قلمها...وحِبْرَها
قد عصف بِراحَةِ بالِكْ
فهزّ صَمْتَ الأشْرِعةِ في مراكِبِها
وأباد سُكُوتَ المَراكِبِ في مراسيها،
ولكن، أيُّ أشْرِعةٍ تِلْكَ وأيُّ مراكِبَ؟
وأيُّ حَجَرٍ ذاكَ وأيُّ رصيفِ؟

قُلْ لهم بِأنَّ اسْتِراقَ النَّظَرِ
يعني اسْتِراقَ عينيكَ...يا عبيري
ولكن لا تنس أيضًا أن تقول لهم
بِأنَّ ذاك يعني موتَ حبيبتِكَ،
المَوْتَ، لها أبدًا، يا حبيبي...

وقعُ الموسيقى

الأُنوثَةُ إيقاعٌ
والحُبُّ موسيقى
وكَلِماتُ العِشْقِ
ألْحانٌ رقيقَة،
يَرْقُصُ سامِعُها
على خُطى الشَّغَفِ
ويَسْتَدِلُّ بنوتاتِها
في وِحْدَةٍ حليكةٍ.
رَقَصْتُ أنا
على هذا الإيقاعِ
ونَقَرَتْ خطواتيَ
على وَقْعِ الموسيقى،
وأنتَ مَدَدْتَ لي يداً
وعَزَفْتَ لحْني،

على وَقْعِ الموسيقى.
سَكَبْتُ دَمْعًا
لم أرْغَب احْتِساءهُ،
وقَطَرْتُ نارًا
لم أشْتهِ رمادها،
وأنْتَ قد غيَّبْتَ
في كُلّ خَطْوَةٍ
أنينَ الصَّمْتِ
وأفْتَلْتَ الشَّهيّة.
هنا، تُرْسَمُ لَوْحَةٌ زَيْتِيّة
أَلْوانُها لَحْنٌ
وبَطَلُها الوَهْمِيَّة...
أنْتَ، أنا، وغِيابُ الوُجُودِيّة...
وكُلُّ هذا
على وَقْعِ الموسيقى...

بكاء الحب

لم يَكُن الحُبُّ أبدًا بمُشْكِلَةِ
لكِنَّ القلْبَ بكى الحُبَّ وانْبَتَرْ،
رأى أشْباحَ وَلَعٍ، واشْتاقَ لِأشْباهِ أحْبابٍ وانْتحَرْ،
كَتَبَ قصائِدَ العِشْقِ،
ونَحَتَ كَلِماتِ الولَهِ
على أمْواجِ السَّكَرْ.
لم يَكُنْ قلْبي يبكي وَجَعَ حُبِّكَ ولا لَحَظاتِ القَهَرْ،
ولَكِنْ بكى حُرِّيَّةَ النَّدى في اسْتِباقِ المطَرْ
وحَسَدَ الضَّبابَ في إلْهاءِ البشَرْ.
لم تَكُنْ كَلِماتي تُخْمِدُ رَمادَ غُمُوضِكَ
ولا تَشْرَبُ نَخَبَ كُؤوسِ المَرَرْ
لَكِنَّ قصائِدي كانتْ على أُنوثتي تنْتَصِرْ،
فَلَمْ تَشِي اِسْمَكَ والقَلْبُ مُنْكسِرْ

ولم تُطْفِئ شُعْلَةَ اشْتِياقِكَ المُنْفَتِرْ،
بلْ غَنَّتِ الحُبَّ والمَوْتَ والغَدْرَ
في كَلِمَةِ حياةٍ، غَنَّتْها على مَرَرْ...

سلاطين الفكر

**كانوا يَسْألونَ عقْلًا
كانَ لَهُمُ الجَوابَ
كانَ لَهُمُ الطَّريقَ،
الرَّصيفَ، الماءَ، والهَواءَ.
أغفَلوا فيهِ عاصِفَةً هَوْجاءَ
نَفَخَتْ رَمادًا
وخَلَّفتْ رياحًا.
قَلْبٌ أُكْثِرُهُ السُّؤالَا
كانَ لِيَ الطَّريقَ،
الرَّصيفَ، الماءَ، والهَواءَ.
طَريقًا ولا طَريقًا
أمشي فيهِ ولا هَواءَ،
يقولُ قَلْبي أعْطني نَفَسًا
فَشُعْلتي تتوَهَّجُ انطِفاءَ،**

وأنا أصْرُخُ ولا نِداءَ.
قَلْبي يتذكَّرُ ولا وَراءَ
لا وراءٍ غَيْرَ ماضٍ كانَ فاءَ،
ولا فَيْئَةَ كانتْ بينَ ما باءَ وجاءَ.
أنا، وهُوَ، لم نَعْرِفِ الجَوابَا:
أيْنَ طريقي مِنْ بَعْدِ ما نفاكَ سبيلِي؟
آهٍ مِنْ سَبيلي، وعقْلي
وجَسَدي ومِنْديلي...
أيْنَ هوائي مِنْ بَعْدِ ما أبْكَوْكَ تَفْكيري؟
وأيْنَ ذاكَ الماضي الذي شَيَّدَكَ مَوْطِنَ قِنْديلي؟
أيْنَ هُوَريحُكَ وسُلْطَةُ نجاتي؟
أيْنَ هُوَ صَوْتُكَ وشُعْلَةُ حياتي؟
أيْنَ هُوَ أنتَ يا صدَى كَلِماتي؟
لم أعْرِفْ فيكَ الجَوابَ
فلَمْ أسْألْ سُلْطانَهُمْ ولا مُلوكَ تفْكيري،
لكنِّي أشْرَبُ نَخْبَ أشْعاري
لَعلَّ الكَلِماتَ تَقودُكَ داري..

وهم حيائك وطوق الكبرياء

عنْ حَياءٍ أو عنْ كِبْرِياءْ
طَاوَلَتْكَ أَلِفًا نَظْرَةُ إغْراءْ
فَقَذَفْتَني حِمَمَ حُبٍّ وعَطاءْ
وسَقَيْتَني حُمَّى مَرَضٍ ودَواءْ.
أَحُبٌّ تراهُ أمْ عطَبٌ وداءْ؟
أسْألُ قَلَمي وأسْألُ الهجاءْ،
القَصدَ، الكَلِمَ، الشَّغَفَ والحَياءْ
وكُلَّ ما كَتَبْتُ فيكَ في المَساءْ،
فالحَنينُ لم يَدُقَّ بابَ الضُّعفاءْ
إلَّا في صُورٍ عَتَمٍ
وصَفْحَةٍ سَوْداءْ.
ضَعيفَةٌ أنا في الحُبِّ والبُكاءْ
لمْ أشْرَبْ فيهِ نَخْبًا ولا دَمْعًا للشِّفاءْ

بل قَرَأتُ فيهِ لَحْنًا
وغِطاءً للشِّتاءْ.
فَعَزْفُ ذِكْراكَ يُلْحِفُني الدّفا
وأشْباحُ حُبّكَ تُلْهِمُ الغِشاءْ...
أكْتُبُ الآنَ وأعْزِفُ في حُبِّكَ
وأشْرَبُ دَمْعَ نَخْبِي ورُوحِيَ الوَهْماءْ
وأتساءلُ أكانَ في الحُبِّ مَرَضٌ
أم أنّي أنا كُنْتُ مِنَ الأغْبِياءِ،
فَأنْتَ قد نَسَفْتَني في تِلْكَ اللَّحْظَةِ
بِوَهْمِ حَيَائِكَ وطَوْقِ الكِبْرِياءْ...

فصل الحياة

أفي فَصْلِ الحَياةِ تَزُورُني
أم أنَّ الحياةَ مَوْسِمُ أوْداقي
رَسَمْتَني فيها بِزَئيرِكَ لَهبًا
ثُمَّ بَعْثَرْتَنِي كَخَرِيفِ أوْراقي...

يابِسَةٌ هِيَ أوْراقُ الخَريفِ،
بارِدٌ هُوَ فَصْلُ الحياة.
لم أشْرَبْ فيهِ رَحيقَ أزْهارٍ
ولا اشْتَهَيْتَني فيهِ صَفارَ رِمالِ.

قُل لي، أأنْتَ زائِرٌ سَكْرَةَ الخَمْرِ في المساءْ
أمْ ذائِقٌ نَفْخَةَ المَوْتِ في الحياة؟
طَريقُكَ شائِكٌ وفَصْلُكَ حارِقْ
والحِبْرُ نافِذٌ ووَرَقُكَ يابِسْ،
وكِتابُ عِشْقِيَ دائِمٌ دائِمْ...

بَيْنَ دّقَّة قَلْبي ونَبْضه
يُولَدُ فَصْلُ حياةٍ دَفينْ،
فَهَلْ تراكَ تَزُورُني في فَصْلِ الحياة
أم تراني أرْسُمُكَ مُعْجَمَ كَلِماتْ...

وهم دفئك

كُنْتَ معي وحَمَلْتَني.
ومِنْ صَرْدِ قطَراتِ النَّدى دثَّرْتَني،
قَبَّلْتَني وألْحَفْتني
ومِنْ بَعْدِ ما ألْحَفْتني ذاكَ،
أوهَمْتني الدَّفا...

لم أسْمَعْ لِحديثِكَ وَقْعًا
ولم أرى هَمْسًا قابِلِ الصَّدى،
سِوى هَمْسِكْ...
أعْرَيْتني الغِطاءْ،
لم أقرَأْ في صَداكَ
سِوى الأخْذِ والبقاءْ
بَعْدَ أنْ خَطَّ صَوْتُكَ، كُلَّ وَلَهٍ وعطاءْ...

قَبَّلْتني....
قَبَّلْتني ورَسَمْتني
وعَزَفتني وسَكَرْتني، آهٍ، أنْتَ سَكِرْتني،
ثُمَّ تَذَكَّرْتَ الرِّداءْ.
ألم أكُنْ في حُبِّكَ المرْأةَ العَمْياءْ؟
أنا اليَوْمَ سيِّدةُ الهَمْسِ والصَّدى
أنا سيِّدةُ الذَّاتِ، بِنَفْسِها الصَّمَّاءْ...

قَبَّلْتني وألْحَفْتني،
فَألْهَمتُكَ البغاءَ والحُبَّ والوَلَهَ
والشَّغَفَ ومُرادِفَ الإغْراءِ...اِجْتِواءْ...
فَعُدْتَ، وألْحَفْتَ النَّغَمَ والبُكاءْ
وعَزَفْتَ الوَتَرَ على مسامِعِ الشَّمَّاءْ...

يا سامِعَ اللَّحْنِ، ويا عازِفَ الشُّهداءْ
لَقَدْ قَبَّلْتَهُ وألْحَفْتَهُ وحَمِلْتُهُ العراءْ،
فَغطائي ولحافي لِهامِسِ الصَّدى...
لَكِنّي أنا، أنا سيِّدةُ النَّدى،
أنا سيِّدةٌ بِرُوحِها شَمَّاءْ....

جريمتي أنك قتلتني

**لم أعْتَدِ القَتْلَ،
لَكِنّي ريشتي في صَدْرِكَ غَمَدْتُ
ولِمِ أألَفِ الوَحْشِيَّةَ،
لَكِنَّي جَسَدي في دَمِكَ غَسَلَتُ.
لا أعْرِفُ أكانَتْ كَلِماتُكَ، هي السَّبَبُ،
أم انْعِدامُ كَلِماتِكَ،
كانَ هُوَ السَّبَبَ.
لَكِنَّي بالأخيرِ ألومُكَ،
ألومُ فيكَ وَرَقَكَ اليابِسَ
على أغْصانِ الخَريفِ العارِيةْ،
ألومُ فيكَ الأحْمَرَ الباهِتَ
على ملامِحِ أفُقِ الشَّمْسِ الغائِبةْ،
ألومُ فِيكَ اسْتِدارَةَ فمي**

وحُدُودَ شفتايَ المائِلةْ،
ألومُ فيكَ رائِحَةَ عِطْرِكَ
وعبيرِ سُكَّرِكَ ولَوْنِ جَريدَتِكْ،
ألومُ فيكَ وُجُودَكَ،
ألومُ فيكَ طُولَكَ ورُجُولَتَكْ،
وبالأخيرِ ألومُ فيكَ شِعْرَكَ وكَلِمَتَكْ...
فهُم اتّهموني بِقَتْلِكَ،
وإسْكاتي كانَ حُكْمَ جَريمتي،
لَكِنَّهُمْ لم يَعْرِفوا أنَّكَ قاتِلي،
لم يَعْرِفوا أنَّكَ قَتَلْتَني وسَجَنْتَني،
حينَ أرْشَفْتَني ألِفًا، كُؤُوسَ قَصَدِكْ.

قصيدتي إليك

أنا كُنْتُ قد قَرَأتُ طالِعَكْ
وأقْسَمْتُ لَكَ بِصُحْبَةِ الغُرُوبِ،
تَجْلِسُ والبَحْرُ يُطالِعُكْ
وأنا، أنا راقِدَةٌ في الأحْداقِ...
أنا اليَوْمَ أقْرَأُ لكَ طالِعَكْ،
وأنْتَ تُداعِبُ رَمْلاتِ بَحْرٍ.
أراكَ تُجالِسُ جَزْرَ مَوجِكْ
و تُهَدْهِدُ نجْماتِ لَيْلٍ.

لَكِنَّي أنا، لم أكُنِ امْرَأتَكْ...

هُنا، عاتَبْتني باللَّوْمِ في النَّظَراتِ
وأسْقَيْتني جَفاءَ اللَّوْمِ، صَمْتَكْ
وحَلَّفْتني بالخالِقِ في قِراءتي

أرْجُوَهُ في الحُبّ، بَيْني وبَيْنَكْ.
فَبَسِمْتُ...وواصَلْتُ قِراءتي
وهَوَيْتُ بِدَمْعِيَ مِنْ بَيْنِكْ...

أراكَ الآنَ تُغازِلُ شَعْرها
وتَنْفُضُ مِنْ بينِ ضفائِرِهِ رَمْلَكْ.
أراكَ تَفيضُ غيْرَةً مِنْ حَوْلِها
وتَزْأرُ مُلامَسَةَ الهَواءِ لها،
فَتَسْقي لِهاثَها مِنْ غَيْثِكْ
وتُلْحِفُ خارِطَتها جَسَدَكْ.
أراكَ الآنَ والمَوْجُ يَقْطِفُ مِعْطَفَكْ
والشَّوْقُ يبكي مَوقِفَكْ.
أراكَ الآنَ تُقَبِّلُ جِسْمها،
وأنا، أنا أرْقُدُ في الحَدَقْ...

إدمان مرضك

لم أرَ في حُبّكَ مَرَضي
لَكِنّي لَمَحْتُ في غِيابِهِ غِيابَ شَرْعِيَّتي،
فأنا مِنْ دُونِكَ لم أعُدْ شرْعيَّةً،
ولا قانُونِيَّةً، ولا وُجُودِيّة.
أنا مِنْ بَعْدِكَ... أضرَمْتُ رمادَ الجاهلِيَّة.
لم أعْرِف أنينَ التَّعَبِ مِنْ بَعْدِكْ
ولم أعْرِفِ صُحْبَةَ القَهْوَةِ بَعْدَكْ.
لم أَلْمَحْ حقيقةَ مَرَضي،
ولا عَهِدْتُ صُحْبَةَ "العَبيرِ" بَعْدَكْ.
تَغَرَّبْتُ غَزْلَ الكَلِمَةِ وهَجَرْتُ الكَلامْ،
قَطَعْتُ وعْدًا علىٍ صُحْبى النِّيامْ
وسَقَيْتُ حَجَرَ الطَّريقِ سِلالًا سُقامْ.
أمِنْ قَبْلِكَ أم مِنْ بَعْدِكَ

ترى نَفْسِيَ سَرَقَتْ نَفْسي؟
أمِنْ قَبْلِكَ أم مِنْ بَعْدِكْ؟...
أمِنْ قَبْلِكَ أم مِنْ بَعْدِكَ
تَرى الأسْماءَ صارَتْ مِلْكي،
والأحْرُفَ والكُتُبَ والكَلِماتَ
صارتْ كُلُّها اسْمُكْ.
أمِنْ أمْسِيَ يا رجُلًا أم مِنْ أمْسِكْ؟
هلْ تراني اليَوْمَ أدْمَنْتُ على مَرَضِكْ،
أمْ تَراكَ بالأمْسِ...قَبْلًا، أنا...ومِنْ بَعْدِكْ؟

وفي الأخيرِ وبَعْدَ رحْلَةٍ شــاقَّةٍ في سُــؤالِ الحُبّ، حَمَلَتْنِي ريشتي وعادت بِيَ إلى موضِعِ القَلْبِ: الجَسَد، فخاطَبْتُهُ مُساءِلة:

أيا جسدًا سَكَنْتُ تُرابَهُ
وحملتُ على الأرض هضابهُ،
أيا جسدًا قلّمتُهُ وحَفرتُهُ
اِضرِبْ لِي مَثَلَ شجرةٍ تنمو على سفحي،
فقد شذّبتُ أوراقكْ،
أو اصرف لي ماءِ عينٍ على تُرابكَ
فقد شددتُ أطرافكْ.
ألم تَعْرف أنَّ بُذُورَ الجسدِ صغيرةٌ؟
وجذورها تنمو لتصبُوَ أسيرةً؟
ألا تعلمُ أن البذورَ أديبةٌ؟
سقيتُها دمعًا وقطفْتُ من
كفّها تُفّاحًا وسِقَرًا
فكتبتْ بيَ أسطُرًا
وعَزَفَتْ مِنّي بِضْعَ كلماتْ.
لم أفهم أبداً هذا الجسدَ

فهل تراهُ قفصي
أم تراهُ مِنْبَرَ الصّمتِ والسُّكاتْ.
أم هلِ تراهُ أنتَ،
والتُّفّاحَ والتّوتَ وقطائفَ الورد
والأحمرَ والفُتاتْ.
أتراني أنا لهذا الجسدِ،
أم تراهُ ظلّ قبري في هذي الحياة؟

وإذ بهذه القصيدةِ تقُودُني إلى التّساؤلِ الأكْبر، من هُو الإنسان؟
الإنسانُ؟ الكائِنُ البشريُّ العاقِلُ، ذو المَلَكاتِ الفِكْرِيَّة الصَّارِخة...
من هُو هذا الإنسانِ؟ وما هُوَ هذا الإنْسان؟
وإن تَبَنَّيْتُ البلاغَةَ في حدَّتِها ودِقَّةِ صُوَرِها فلن أتَمَكَّنَ مِنْ تَحديدِ إجابَةٍ مُباشِرةٍ لهذا السُّؤال، لكنّي سأحاول نحتَ إجابتي بحبرِ بعضِ الكلمات.
اِعْذر في إجابتي هذه طُولَ الكلامِ ولا تَلُمْ في قراءتي تَصْويرَ الكَلِماتِ لِلَوْحاتِ رَسَّامْ. هكذا عَلَّمَتْني الحياةُ تَقْدِيمَ الإجابات: بريشةِ شاعِرٍ وحِبْرِ مُحْتَدِمِ الألْوانِ، فالألْوانُ والألْحانُ والكَلِماتُ، في رَوْنَقِ اعْتِمادِها سِرُّ اتّزانِ الخُطُوات، أو بالأحرى انْجِذابُ الكائنات.

ركبتُ صـــباحها القطار المُتَوَجِّه إلى النَّـاحِيـة الجنوبيَّـةِ لِضواحي مدينة "ليونِ" بفرنسا. كُنْتُ حينها صُحُفيّة مُتدرّبة في قناة "يورونيوز". ظنَنْتُ في البداية أنَّ بُرودة الشِّـتاء وصـقيعه سيرسُمانِ ملامِحَ الرَّتابَةِ على تاريخ ذاكَ اليَوْمِ، فَيكونَ يومًا آخَرَ يُضـافُ إلى سـابِقيه. لكنّ ما قرأتُهُ في عينيها في ذاكَ اليومِ كان بعيدًا جدًّا عمَّا يُمْكِنُ وَصْفُهُ بالرَّتابَة.

كـان القطـارُ بِصَــدَدِ الانْطِلاقِ، عنـدمـا خـاطَبتني وحْدَتُهـا الصَّـارِخة: كانت جالِسـةً قُبالَتِي، وكانِ يفْصِلُنا جَمْعٌ من النَّاس... جُمُوعٌ تبدو في ذاكِرتي هائِمةً...هائِمَةً في البحثِ وخائفةً...

لم أسْــتَطِع التَّدْقيقَ في النَّظَر إلى ملامِحها بســببِ تِلْكَ الجُمُوعِ التي وَقَفَتْ بيننا، لكِنَّ الحُزْنَ والألَمَ كانا قدْ نحتا هالَةً مُخيفَةً حَوْلَها: فكَانت نَظْرَتُها تَصْـرُخُ طَلَبًا للإعانةِ تارَةً، وتَعْكِسُ اِبْتسامةَ فَرَحٍ طَوْرًا.

أتذكَرُ أنّها كانت في عقدها الثالث تقريبًا، لكنّ ملامح التَّعب كانت قد حطّت على ثنايا وجهها وفواصله.

كان القِطارُ عنيفًا في تَحَرُّكاته، فَحَجَبَ عنّي الرُّؤْيَةَ، لكنّي أتَـذَكَّرُ الـدَّمْعَـةَ التي حطَّتْ عل كَفِّهـا في غَفْلَـةٍ مِنَ النّـاظرين، والبسْمَةَ التي تَلَتْها خَوْفًا مِن انْكشافِ أمْرِها...

كانت تُحاوِلُ إخْفاءَ أمْرِها عنِ النَّاظِرينَ، الجالســـين مِن حَوْلِها لكنَّها لم تُمانع اسْـــتِراقِيَ للنَّظَر. لم تُمانِع حتَّى اسْـــتِراقِيَ للمعاني مِن حَوْلِها واسْتِباقِيَ للكلمات. لا بل تَعَدَّتْ ذلكَ لتُوَجِّهَ لي نَظرَتُها وحُزْنُها وبَسْمَتُها بِضْع كَلِمات، فقالت:

"رَكِبْتُ على حِمْلي وفي نَفْسي مُعَذِّبتي
تَسْكُنُ أَوْطانًا قَحْلاءَ بِلا صُوَرِ
تتخَطَّى في نَبْضِها حُدُودَ الإنْسِ والأدَمِ،
تَكْسو أدِيمَتَها أَزْهارٌ بِلا عِبَرِ.
أصْغَيْتُ لِألْحانٍ عُزِفَتِ على النَّغَمِ
مِنْ هَمْسِ قِنْديلٍ يَخْفِتُ في ظَلَمِ
إلي عَزْفِ حَبيبٍ يُقَبِّلُ شِفاهَ غَسَقِ،
لَكنّي لِم أَفْهمْ في العَزْفِ مُعَذِّبتي
وقد دقَّت في عزْفِها أبْوابَ أرْوِقَتي.
ثَناياها أمْسَتْ في الدَّرْبِ مُؤْنِستي،
ألْوانُ عِطْرِها رَسَمَتْ بِمِحْرَمَتي
ما تَراهُ نَفْسي، وأهْوائي، وأحْدِقَتي.
هِيَ...ألْهَمَتْ نَغَماتِ الهَمْسِ، كَلِمَتي

وقَرَأَت الحُبَّ في أحْرُفِ أسْئِلتي.
اِلْتَمَست نَغَماتِ العِشْقِ في أجْوِبَتِي
ونَزَفَتْ ألْحانَ وَلَهٍ في تَسابُقِ خُطوتي،
هِيَ كانت في قَصَدي مُعَذِّبتي
فَقَرَأتَ فيها كَلماتِ قَصَدي،
هِي كُلُّ كلامٍ قَالَتْهُ مُؤَنِّبتي
وكُلُّ حَرْفٍ ناطِقٍ في صَمَتِ.
هِيَ كَلُّ ما قُلْتُهُ فَي سُكُوتي
وكُلُّ ما حَضَرَ في مَوْتِ غَيبتي.
هي في الأخِيرِ كُلُّ نَفَسٍ بَكَيْتُهُ
وكُلُّ ما كَانَ في المَوْتِ مِنْ حياةٍ وصَخَبِ."

هذا كاَنَ ما لَفَظَتْهُ لِيَ...في نَظْرَةِ

ثُمَّ غادَرَتْ قِطارَ الحَياة،
وكان ذلِكَ ما لَمَحْتُهُ في لَحْظَتي.

<u>عبير بوقرة</u>

الكَلِمة

الكَلِمَةُ...
مَرْقَصٌ يَجْمَعُ ثُنائِيَّ الحياة.
خطْوَةُ الماضي، تَجْذِبُها خطْوَةُ الحنين
تَرْقُصانِ على أنْغامِ ذاكِرَةٍ مُصْطَفاةْ،
وألْحانٍ عَزَفَها الوَقْتُ في سُكاتْ.

الكَلِمَةُ مَرْقَصٌ،
أم تراها أثَرَ الحِبْرِ على وَرَقات؟
هل هيَ مَعْبَدٌ تُصَلّي بِهِ الأنْفُسُ رَكَعاتٍ
وتسْتَقي بِهِ الأحاسيسُ تَضَرُّعاتْ،
أم تراها مُجَرَّدَ مَأتَمٍ،
تَبْكي بُرُودَهُ السَّماءُ
وتَسْكُنُ جُدْرانُهُ الأرْواحُ التّائهاتْ؟

هل تراني أكْتُبُ الكَلِمَةَ اسْتِنجادًا بالحياةِ

أمْ تراني أقْرَؤُ مَعانِيَ الوُجُودِ في الكَلِماتْ؟

هلْ تَراكَ تُحِبُّني في تَدَافُقِ الحِبْرِ
أم أنَّ حُبَّكَ كانَ ثَمْرَةَ رِسالات...

رِسالاتٌ...جُمَلٌ...فَكَلِماتْ...

الَوَطَنُ، العِشْقُ، الكَرامةُ والحِياة
الطُّفولةُ، الصَّداقَةُ، الإنسانيَّةُ والسُّكاتْ
الغَدْرُ، الحُبُّ، الكَذِبُ والنِّفاقْ
لا بلْ أنا وأنْتَ وحتَّى الكَلِمَةُ، كَلِماتْ.
تُكْتَبُ الكَلماتُ وتُلْقى وتُمحى
وتُغَنَّى وتُبْكى وتُصْبِحُ في مَماتْ،
أنْتَ وأنا وصَفْوُ الكائِناتْ،
حتَّى الكَوْنُ والسِّرُّ وخالِقُ السِّماتْ،
إنْ لم يَرْسُمها الشَّاعِرُ بقَطْرَةِ حِبْرِهِ
ولم يَنْفُخْ بِها ملامِحَ السِّماتْ
تَبْقى كُلُّها مُجَرَّدَ كَلِماتْ...

أعْشَقُ في المَوتِ الحياةْ

أعْشَقُ فيكَ عَيْناكَ،
أعْشَقُ فيكَ نَظْرَتَكَ،
أعْشَقُ فِيكَ الحياةْ.
أعْشَقُ فِيكَ فِكْرَتَكَ
وكُلَّ ما هَمَسَتْ بهِ شَفتاكَ في الهَوَاءْ.

أعْشَقُ في الحُبِّ لَحْظَةَ الشَّقاءِ
وكُلَّ ما سَبِقَها مِنْ لَهْفَةٍ،
وما تَلاهَا مِنْ كِبْرِياءْ.

أعْشَقُ في الكَذِب رَجْفَةَ البُطَيْنِ،
طَرْفَةَ العَيْنِ وقُبْلَةَ الجَفاءْ.
أَوَ تَعْلمُ ما الذي أعْشقْ؟
أعْشَقُ المَوْتَ في هذي الحياةْ.

أعْشَقُ في الكَوْنِ سُكُونَهُ،
ولَحْظَةَ اخْتِفاءِ الكَوْنِ
في الجَوْفَةِ السَّوْداءْ.

أعْشَقُ في الملْح حَياءَهُ
وَذَوَبانَهُ خَجَلًا عَلى طاوِلَةِ العَشاءْ.
أعْشَقُ المَاضيَ، واليَوْمَ، والحاضِرَ
وأعْشَقُ القَلَقَ المُتَرَسِّبَ،
وعلى ما تَلَاهْ.

أعْشَقُ، وأعْشَقُ، وأعْشَقُ،
ولكن، أوَتَعْلَمُ ما أرى؟
أرَى العالَمَ بِرُوحِيَ الحَمْقاءْ،
حتَّى أعْشَقَ سَكْنَةَ المَوْتَ فيه
وأدْفِنَ في شَوارِعِهِ عِبادَهُ الأَحْياءْ.

لمْ أعْشَق أبدًا ما وراءَ السِّتارِ
ولَمْ أجْعل مِنْهُ مَرْقَدَ الرِّضا.
فالمِلْحُ والسُّكَّرُ وإنْ تماثَلَا خَجَلًا

فِي حُلْوِ الطَّعْمِ ومُرِّهِ اخْتَلَفا...

ما الذي أقولُ الآنَ وعن أيِّ كَوْنٍ تراني أكْتُبْ؟
وما الذي أعْشَقُ في المَوْتِ وأنا في الحياةِ أنْشُبْ؟
كَيْفَ لي أنْ أعْرِف الفرقِ بينَ السُّكَّرِ والمِلْحِ
وقَهْوَتي في سِرِّ الظَّلامِ تُسْكَبْ؟
كَيْفَ الآنَ تراني أعْشَقُ، وكَيْف لي أن أُعْشَقْ،
وأنا لمْ أكُنْ سِوى كَلِمَةٍ في الهَواءِ تُهْمَسْ،
أو رُبَّما فِكْرَةٍ على أنْقاضِ الزَّمانِ تُلْفَظْ؟

دَعْنا الآنَ مِنْ هذا الكَلامِ
ولْنَعُدْ إلى ما أعْشَقْ...

ألَمْ أقُلْ لَكَ أنِّي أعْشَقُ فيكَ عَيْناكَ؟
نعم، وكَذلكَ نَظْرَتَكَ...والحياةَ، والمَوْتَ،
وكُلَّ ما كانَ بينَهُما مِنْ فَراغٍ والْتِهاءْ...

أنا أسيرتك

**هلْ أتاكَ خَبَرُ حُبِّي
وحَدِيثُ النَّاسِ عنْ جُنُونِي؟
هلْ أخْبَرُوكَ بموضوعِ شَوْقِي
وبالسَّبَبِ وراءَ لَوْعَةِ رُوحِي؟
هلْ أعْلمُوكَ بِشِدَّةِ اشْتِياقِي
وشِدَّةِ تَوْقِي لِذاكَ اللِّقاءِ؟
لِقاءٌ سَيَجْمَعُ بَيْنِي، وبينَ منْبَعِ سِرِّ أسْبابِ خُواري.
هَلْ أَخْبَرُوكَ بِأَنَّكَ خَلَقْتَ عالَمًا مِنَ الأسْوارِ
تُحيطُ بِمعْصَمِي وفُؤادي، تُحِيطُ بمُعْجَمِي وأفْكارِي؟
هلْ أخْبَرُوكَ بأنَّ ثنايا اسْمِكَ تَكْتُبُ أبْجَدِيَّةَ أسْرارِي
وأقْوالِي وهفَواتِي وحتَّى كَلِماتِ أشْعارِي؟
هَلْ أخْبَرُوكَ بأنَّ بَسْمَتَكَ تُسْكِتُ هيَجانَ بِحاري
وبأنَّ نَظْرتكَ تَعْزِفُ لَحْنَ الحُبِّ على أوْتارِي؟
هلْ أخْبَرُوكَ عنِ اتِّقادِ ألْسِنَةِ نِيراني**

الَتِي تُخْمِدُها كَلِمَتُكَ لا سُيُولَ أَمْطارِ؟
قُل لي، هلْ أخْبَرُوكَ أنّي أسِيرَتُكَ
وسَجينَةُ عالَمِ أفكارِي؟
أفكارٌ تَطْفو على سطْحِها سِيرَتُكَ
فَتُلْجِمُ صَهيلَ العَقْلِ في صَحْرائي...
لا أَعْلَمُ ماذَا أخْبَرُوكَ
وما الذي آتَوْكَ وأعْلَمُوكَ...
ولكِنْ أظُنُّ أهمَّ سُؤالِي،
ما الذي تَقُولُ في خَبَرِ حُبَّي،
وسبَبِ آشْتِياقِي،
ما الذي تقولُ سّيِّدي في أسْبابِ ضُعْفِي وخُوارِي؟

رجلٌ هو حياتي

سَأَلوني عنِ الوَقْتِ فَقُلْتُ لا أُبالي
لامُوني عَنِ السَّاعاتِ التي تَمُرُّ بِدُونِ حِسابِ
لَكِنَّهُم لا يَعْرِفُونَ أنَّكَ بِجانِبي
والوَقْتُ عِنْدها يَتَوَقَّفُ عنِ الانْسِيابِ
فلا أشْعُرُ بالسّاعاتِ تَمْضي
ولا بالدَّقائِقِ ولا بالثَّواني
ودَقَّاتُ قَلْبِكَ تَصيرُ وَحْدَها كِتابي
فَدَقَّةٌ فاثْنانِ ثُمَّ يُخْلَقُ فؤادي،
تَليهما دقَّةٌ تَبْعَثُ الرُّوحَ في حياتي
ثُمَّ دَقَّةٌ أخْرى لِيَكْتَمِلَ عُنفُواني
فلا تَبْتَعِدْ بِقَلْبِكَ فَدَقَّاتُكَ إيماني
والبُعْدُ عنْ دَقَّاتكَ يُسَبِّبُ مماتي
فكفا الآنَ سُؤالًا عنِ الوَقْتِ...
هذا الرَجُلُ، هذا الرَّجُلُ هوَ حياتي.

أنتَ في كل تفاصيلي

أبْصَرْتُ أنا...
مِنْ وراءِ سِتارِ الأفْكارِ... ورَأيْتُكْ...
حَمَلْتُ قَلَمي، فانْسَكَبَ حِبْري
ورأيْتُكْ...
جَلَسْتُ إلى وِحْدَةِ قَهْوتي، فَرَأيْتُكْ...
فَتَحْتُ زُجاجَةَ عِطْري
ونَفَخْتُ بِها عبَقِي، فرَأيْتُكَ ولَمَحْتُكَ وأمْسَيْتُكَ ولَمَسْتُكْ...

أجملُ الصدف

صُدْفَةٌ... وما أَجْمَلَها مِنْ صُدفْ
أَلْقاكَ في ذاكِرَتي، في الحَديثِ وفي الطُّرَفْ
لَكِنَّي اليَوْمَ صادَفْتُكَ بِجانِبي، أَيْنَ أَقِفْ...
لا أعْرِفَ هل أَكْتُبُ عن حُبٍّ وشَغَفْ
أم عن تَجاهُلٍ وغَضَبٍ وانْهيارٍ وأسَفْ
فأَنْتَ لم تُصارِحني بِحُبِّكَ وأنا لن أسْتَشِفّْ،
لَكِنَّ رُؤْيَتَكَ تَبْقى صُدْفَةً...
نعم، صُدْفَةٌ، مِنْ أجْمَلِ الصُّدَفْ...

هذا كانَ لَوْتَكْ

يُخالِجُني ذاكَ الشُّعُورُ
فأكُونُ لَهُ مُخْلصة،
على مَرْأًى مِنْ قَهْوَتي
وتَحْتَ أنْظارِ جَريدتي،
يَتَسلّلُ دُخانٌ تبْغِكَ
فيَكْتُبُ لَحْنًا للكَلمات،
ترى جَريدتي تُراقِصُ النّغَماتِ
وأنا تَراني لِألْحانِ تَبْغِكَ مُخْلِصة.

يُخالِجُني ذاكَ الشُّعُورُ،
فأُسائِلُهُ عن أسْرارِكَ المُعْلَنة:
أهِيَ شَفَتُكَ العُلْيا
في اسْتِدارَتِها، ومُساءلَتِها للكائِنات؟
أمْ هيَ أنامِلُكَ، في تَشْكيكِها

وطَرْقِها الكَثيرِ على أسْطُحِ الطَّاوِلات؟
أمْ رُبَّما كانت رَبْطَةُ عُنُقكَ
هي التي باحتْ بِحُبِّكَ للَّوْنِ الأزْرَقْ...

يُخالِجُني، يا سيّدي، ذاكَ الشُّعُورُ،
وأنا لم أرَ مِنْكَ سِوى يَدِكَ وأنْفِكْ،
ورُبَّما، أقولُ رُبَّما، حُبِّكَ للبَحْرِ والمَرْأةِ
وعِشْقكَ للكَلِماتْ...
يُخالِجُني هذا الشُّعُورُ سيّدي،
وأنا أترشّفُ جريدتي
وأحتسي منها مُعْجَمَ نَكَهاتٍ
تَرْقُصُ هيَ على ألْحانِ دُخانِكْ،
فأهيمُ شِعْرًا في عِشْقِ لَوْنِكَ
وأكُونُ للَّوْنِ الأزْرَقِ مُخْلِصة...

ليْلةُ رأس السّنة

وَقَفْتُ أمامَ الشّتاءِ،
في تِلْكَ اللَّيْلَةَ...تَحْتَ حُرْقَةِ الثَّلْج
ووَقَفْتَ أنْتَ معي، بِجانبي، على شِمالي، في تِلْكَ اللَّيْلة.
دَقّاتُ قَلْبِكَ تُسارِعُ الثَّلْجَ في وَقْعِهِ
ونَبْضي أنا يُسايِرُ في دَقِّهِ قَلْبَكْ.
"ألَمْ أقُلْ لَكِ بِأنْ لا تَزُوري الحُبَّ في مَوْسِمِهْ؟"
سَأَلْتَني قائِلاً،
"وأنِ لا تَدُقِّي بابَ البَرْدِ في فَصْلِهْ؟
ألَمْ أقُلْ لَكِ بِأنْ لا تَعْبَثي بِنارِ الشّتاءْ؟
نارٌ، خَلَّفَتْ رَمادَ القُبَلِ على شَفَتَيْكِ
وطَمَرَتْ آثارَ أنامِلي على وَجْنَتَيْكِ،
بينَ أصابِعِ قَدَمَيْكِ،
على مَرْأى مِنَ المَسَاءْ.

هُنَاكَ، وَقَفْتِ أنْتِ أمامَ الشِّتاءْ،
في تِلْكَ اللَّيْلَةِ..تَحْتَ شَمْسِ اللَّيْلِ
أمامَ نافِذَةِ البَلُّورِ الأحْمَرِ،
على مَرْأًى مِنْ سَوادِ الثَّلْجِ الأبْيَضْ،
ذَرَفتِ دَمْعَةً على أخْدُودِ وَجْنَتَيْكِ
زَلْزَلَتْ في وَقْعِها أعالي الثَّرى.
أنْتِ سَقَيْتِ، في تِلْكَ اللَّيْلَةِ، عطَشَ السَّماءْ
وكَبَّلْتِ يَدايَ وقَدَري في زِنْزانةِ الشَّقاءْ...
إذْ وَقَفْتِ وَحْدَكِ سَيِّدتي،
في تِلْكَ اللَّيْلَةِ، تَحْتَ حُرْقَةِ الثَّلْجِ
ووَقَفْتِ أنْتِ، مَعَكِ، بِجانِبِكِ، علَى شِمالِكِ، في تِلْكَ اللَّيْلةِ...

النّهاية

اليَوْمَ أَعْتَزِلُ الكِتابَة:
قَلَمي اليَوْمَ اسْتَقالَ مِنّي
وحِبْرِي كَرِهَ الكَلامْ.
اليَوْمَ أَعْتَزِلُ نَفْسي:
فَأنا هَرِبْتُ مِنّي
وبَحَثْتُ اليَوْمَ عنّي.
لَمْ أجِدْ بي حِبْرًا ولا نَغَمَا
ولَمْ أَسْتَمِعْ بِيَ لَحْنًا ولَا كَلِمَا
لَكِنّي ارْتَشَفْتُ دَمْعًا في ذِكْرَى الحُطَامْ:
أمَامَ مَشْهَدِ الأسِرَّةِ الدّامِية
وتَحْتَ وَطْأَةِ الشَّمْسِ الحامِيَة،
بَيْنَ أرْوِقَةِ الطُّفُولَةِ الهاوِية
وَجَدْتُ البَعْضَ مِنّي...

وَاصَلْتُ البَحْثَ عَنّي في كَنَفِ الرُّدامْ:
سَكَبْتُ الحِبْرَ مِنّي راجِيَةً الكَلامْ،
لَكِنَّ شِعْري هَرَبَ عَنّي واسْتقامْ...
فالحُبُّ بَعْدَ أنْ كانَ أعْمًى
صارَ مُنِيرَ دَرْبِ الشَّهَواتْ؛
والطِّفْلُ وإنْ عاشَ يَوْمًا،
ماتَتْ بَراءَتُهُ في كَلماتْ؛
الحياةُ بَعْدَ أنْ كانَتْ حُلْمًا،
صارَتْ مَوْتًا، مَوْقُوتَ اللَّحظاتْ؛
والمَوْتُ وإنْ كانَ حَقًّا،
صَارَ اليَوْمَ لُعْبَةَ الهُواةْ.
أنا بذَلِكَ أعْتَزِلُ الكِتابَة:
فَقَلَمي اليَوْمَ أقالَ حِبْري
وَكَلِماتِي، اعْتَزَلَتْ هِيَ، هذي الحياة...

المحتويات